

المملكة العربية السعودية

جامعة الملك فيصل

كلية الآداب

قسم الدراسات الإسلامية

العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة



العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة

إعداد

د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العقيل

١٤٣٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ذي العزِّ المجيد، والبطشِ الشَّدِيدِ، المبدئِ المعيد، الفَعَّالِ لما يريد، المنتقمِ ممن عصاه
بالتَّارِ بعد الإنذارِ بها والوعيدِ، المُكْرَمِ لمن خافه واتقاه بدارِ لهم فيها من كُلِّ خيرٍ مزيدٍ،
فسبحانِ من قسمِ خلقه قسَمين، وجعلهم فريقين فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ، من عملِ صالحاً
فلنفسه ومن أَسَاءَ فعليها وما رَبُّكَ بظلامٍ للعبيد، أحمده وهو أهلٌ للحمدِ والثناءِ والتَّمجيدِ،
وأشكره ونعمه بالشُّكرِ تدوم وتزيد، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ولا كُفُوَ
ولا عدلٍ ولا ضدٍ ولا نديدٍ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده وَرَسُولُهُ الداعي إلى التَّوْحِيدِ، المبشِّرِ
للمؤمنينِ بدارٍ لا ينفدُ نعيمها ولا يبِيدُ، المحذِرِ للعصاةِ مِنْ نَارٍ تَلْظِي بدوامِ الوقيدِ صلى اللهُ
عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تزالُ على كَرِّ الجديدينِ في تجديده، وسلَّم تسليمًا أمَّا بعد .
فإنَّ اللهُ خلقَ الخلقَ ليعرفوه ويعبدوه، ويخافوه ويوحده، فمن تَأَمَّلَ الكتابَ الكريمَ، وأدارَ
فكره فيه وجد من ذلك العجبَ العجَابِ، وكذلك السُّنَّةُ الصحيحةُ التي هي مفسرةٌ ومبينةٌ
لمعاني الكتابِ، وكذلك سِيرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ أهلِ العلمِ والإيمانِ، من الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ لهم
بإحسانٍ، من تأملها علمَ أحوالِ القومِ وما كانوا عليه من الحرصِ على تَوْحِيدِ اللهِ في رُبُوبِيَّتِهِ
وَأُلُوهِيَّتِهِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وأنَّ ذلك هو الذي رَقَّاهم إلى تلك الأحوالِ الشَّرِيفَةِ
والمقاماتِ السَّنِيَّاتِ، ومن أرادَ السَّيْرَ على منوالهم، والافتدَاءَ بأفعالهم، فلينهجْ نهجهم في
حرصهم على العَقِيدَةِ، وليعزم على تعلمها عزيمةً أكيدةً، فإنَّه ظافرٌ بالسَّعَادَةِ، وحائزٌ على
العزةِ والرِّيَادَةِ، ومن أجل تحقيق ذلك فهذه ورقات في بيان عَقِيدَةِ أهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ،
الفرقة النَّاجِيَةِ المنصورة إلى قيام السَّاعَةِ، جريتُ فيها على الاختصارِ، سائلاً المولى الرَّحِيمِ
العَفَّارِ، أنْ يُنَجِّبَنِي بها من النَّارِ، ويجعل هذا العملَ خالصاً لوجهه الكريمِ، إنَّه هو البرُّ الرحيمُ،
وصلى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وكتبه

الفقير إلى عفوريه الجليل

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَقِيلِ

خطة البحث:

قسّمتُ البحثُ إلى مقدمة وخمسة فصول، وهي على النحو الآتي:
المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، والهدف من الكتابة في هذا العلم.

الفصل الأول: مبادئ العقيدة الإسلامية وخصائصها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مبادئ العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: أهمية العقيدة وخصائصها.

الفصل الثاني: منهج القرآن العظيم في الدعوة إلى العقيدة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج القرآن العظيم في تقرير التوحيد.

المبحث الثاني: منهج الاستدلال على العقيدة عند السلف عليهم رضوان الله تعالى.

المبحث الثالث: منهج الاستدلال عند أهل البدع.

المبحث الرابع: قواعد السلف في الرد على أهل البدع.

المبحث الخامس: دور علماء السلف في التصدي للبدع.

الفصل الثالث: أركان الإيمان.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالله تبارك وتعالى.

المبحث الثاني: الإيمان بالملائكة.

المبحث الثالث: الإيمان بالكتب.

المبحث الرابع: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث السادس: الإيمان بالقدر.

الفصل الرابع: نواقض الإيمان وضوابط التكفير.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نواقض الإيمان.

المبحث الثاني: ضوابط التكفير.

الفصل الخامس: المذاهب والفرق المعاصرة.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العلمانية.

المبحث الثاني: القاديانية.

المبحث الثالث: الماسونية.

المبحث الرابع: الصهيونية.

فهرس المصادر والمرجع.

فهرس الموضوعات.

د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العقيل

الفصل الأول: مبادئ العقيدة الإسلامية

وخصائضها.

وفيه مبحثان

المبحث الأول: مبادئ العقيدة.

المبحث الثاني: أهمية دراسة العقيدة

المبحث الأول
مبادئ العقيدة

اطبحت الأول: مبادئ العقيدة.

مبادئ علم العقيدة:

إن لكل علم مبادئ، نَظَمَهَا بَعْضُهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ:
 إِنَّ مَبَادِي كُلِّ فَنٍ عَشْرَةٌ الْحَدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَةُ
 وَفَضْلُهُ وَنَسْبُهُ وَالْوَاضِعُ وَالْإِسْمُ الْإِسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعِ
 مَسَائِلُ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اِكْتَفَى وَمَنْ دَرَى الْجَمِيعَ حَازَ الشَّرْفَا
 وَإِلَيْكَ هَذِهِ الْمَبَادِي تَحْتَ النَّقَاطِ التَّالِيَةِ:

١- تَعْرِيفُ الْعَقِيدَةِ:

أولاً: تَعْرِيفُ الْعَقِيدَةِ:

الْعَقِيدَةُ لُغَةً: فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٌ؛ كَقَتِيلَةٍ بِمَعْنَى مَقْتُولَةٍ.

وعقد واعتقد بمعنى اشتد، وصلب، واستحكم، ومَدَارُ الْكَلِمَةِ عَلَى الْلُزُومِ، وَالتَّأَكُّدِ، وَالِاسْتِثْقَاقِ.

ويطلق على العهد وتأکید اليمين (عَقْدٌ).

وما عقد الإنسان عليه قلبه فهو (عَقِيدَةٌ).

وأصلها من العقد: وهو بمعنى الربط والشد بقوة وإحكام، ومنه الإبرام، والتماسك، والمراصة، والتوثيق، والتأكيد، والجزم، كلها تُسَمَّى عَقْدًا، ثُمَّ اسْتَعْمِلَتْ فِي التَّصْمِيمِ وَالِاعْتِقَادِ الْجَازِمِ. (١)

تعريف العقيدة اصطلاحاً:

التَّعْرِيفُ الْاِصْطِلَاحِي لِلْعَقِيدَةِ لَهُ مَفْهُومَانِ: عَامٌ، وَخَاصٌّ، فَالْمَفْهُومُ الْعَامُّ: هُوَ مَعْنَى الْعَقِيدَةِ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِهَا صَحِيحَةً أَوْ فَاسِدَةً، أَمَّا بِالْمَفْهُومِ الْخَاصِّ: فَهُوَ تَعْرِيفُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ.

(١) مختار الصحاح ٤٤٤-٤٤٥، تهذيب الأسماء واللغات ٢٧/٣-٢٨، لسان العرب (عقد) ٢٩٥/٣-٣٠٠.

العقيدة بالمفهوم العام:

هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع، الذي لا يتطرق إليه شك لدى المعتقد.

العقيدة بالمفهوم الخاص (وهي العقيدة الإسلامية):

هي الإيمان الجازم بالله ﷻ، وما يجب له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان الجازم بقضايا الغيب ومنها: الملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص من قضايا الاعتقاد، وما أجمع عليه السلف، والتسليم لله في الحكم والأمر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع. (١)

ثانياً: تعريف التوحيد:

التَّوْحِيدُ لُغَةً: مشتق من وَحَّدَ الشيء إذا جعله واحداً، فهو مصدر وَحَّدَ يُوحِّدُ، أي جعل الشيء واحداً.

لا يتحقق التَّوْحِيدُ إِلَّا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحَّد، وإثباته له؛ فمثلاً نقول إنه لا يتم التَّوْحِيدُ حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فينفي الألوهية عما سوى الله عز وجل، ويثبتها لله وحده، وذلك أن النفي المحض تعطيل محض، والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم، فلو قلت مثلاً: محمدٌ قائم، فهذا أثبت له القيام، لكنك لم توحيده به؛ لأنَّه من الجائز أن يشاركه غيره في هذا القيام، ولو قلت لا قائم، فقد نفيت نفياً محضاً ولم تثبت القيام لأحد، فإذا قلت لا قائم إلا محمد، فحينئذ تكون وحدت محمداً بالقيام حيث نفيت القيام عمَّن سواه وهذا هو تحقيق التَّوْحِيدِ في الواقع أي أن التَّوْحِيدَ لا يكون توحيداً حتى يتضمن نفياً وإثباتاً. (٢)

واصطلاحاً: أفراد الله ﷻ بما يختص به من الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات. (٣)

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور /ناصر بن عبد الكريم العقل ص- ٩ .

(٢) فتاوى مهمة لعموم الأمة ٣/١ .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٥/١ .

٢- موضوع العقيدة:

إنَّ موضوعَ العَقِيدَةِ من حَيْثُ كونها علماً هو معرفة الله بإثبات ما لله من صفات كماله، ونعوت جلاله، وتنزيهه عن كُلِّ نقصٍ وعيب، وتنزيهه عن مشابهة المخلوقات، وتقرير التَّوْحِيدِ والإيمان، والغيبيات، والنبوات، والقدر، وسائر أصول الاعتقاد، بأدلتها من الكتاب والسُّنَّةِ وإجماع السَّلَفِ، ودفع ما يعارض هذه الأصول، والرد على المبتدعة المعارضين، وذم الغافلين المعرضين، ومدح أهل السُّنَّةِ القائمين بهذه العَقِيدَةِ علماً وعملاً وحالاً ودعوةً، وبيان ما لهم عند ربهم من الكرامة. وهذه الموضوعات الجليلة هي أصل العلوم كلها. (١)

٣- ثمرة علم العقيدة:

إنَّ ثمرة علم العَقِيدَةِ هي أعلى ثمرة يبحث عنها الإنسان؛ ألا وهي الفوز بسعادة الدارين. فالبشر كلهم عبيدُ الله، ووظيفةُ العبد وقيمته أن يقوم بالعبادة، فالذي لا يؤدي وظيفته فقد قيمته، وقوام العبودية تصحيح العَقِيدَةِ والإيمان، فمن تطرَّق إلى عقيدته خلل، أو تعرض لإيمانه لفساد لم تقبل منه عبادة، ولم يصحَّ له عملٌ، وَمَنْ صَحَّتْ عقيدته، واستقام إيمانه كان القليل من عمله كثيراً، فوجب على كُلِّ مسلم ومسلمة أن لا يدخرا وسعاً في تصحيح إيمانهم، وأن يكون الاستيثاق منه غاية أملهم، ونهاية سؤلهم، لا يعدلا به شيئاً، ولا يتأخرا عنه لحظة.

٤- فضل علم العقيدة:

إنَّ علم العَقِيدَةِ أشرف العلوم، وأفضلها، وأفضلها، وأنفعها، وأجلها؛ لأنَّ شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله تبارك وتعالى.

٥- نسبة علم العقيدة إلى بقية العلوم:

أمَّا عن نسبة علم العَقِيدَةِ إلى بقية العلوم فهو أصل العلوم؛ إذ العلوم كلها مبنية على الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وهذه هي أصول الإيمان وأركانها، وغير ذلك من الأسس هي موضوعات يتناولها علم العَقِيدَةِ.

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور /ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٩ .

٦- واضع علم العقيدة:

إنَّ واضع علم العقيدة هو الله تبارك وتعالى بواسطة رسله عليهم الصلاة والسلام، وهذا مما يدل على عظيم منزلة هذا العلم، وعلو قدره.

٧- اسم علم العقيدة:

يُعرف هذا العلم عند أهل السنة بعدة أسماء، تصدق عليه وهي كالتالي:

١- **العقيدة: (والاعتقاد والعقائد):** فيقال عقيدة السلف، وعقيدة أهل السنة، وعقيدة أهل الأثر ونحوه، ومن ذلك:

أ- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي. (١)

٢- **التوحيد:** وهو وإن كان موضوعاً من موضوعات العقيدة، لكن لأنه من أشرف موضوعات العقيدة وأهمها أُطلق على العقيدة؛ لأنَّ إطلاق الجزء على الكل دليل على أهميته، ومن ذلك:

أ- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة.

ب- كتاب التوحيد، لابن مندة.

ج- كتاب التوحيد، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٣- **السنة:** وأطلق السلف اسم السنة على العقيدة؛ لأنَّ السنة تشمل كلَّ ما أثر عن النبي ﷺ في أمور الاعتقاد أولاً، والعلم ثانياً، والعمل ثالثاً؛ ولأنَّ السنة في اللغة الطريقة، فأطلق على عقيدة السلف السنة لاتباعهم طريقة الرسول ﷺ وأصحابه في ذلك، وهذا الإطلاق هو أشهر إطلاقات العقيدة في القرون الثلاثة المفضلة، ومن ذلك:

أ- السنة، للإمام أحمد.

ب- السنة، للإمام عبد الله بن الإمام أحمد.

ج- السنة، للخلال.

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص ١٠ .



- ٤- أصول الدين (أصول الديانة): والأصول هي أركان الإيمان، وأركان الإسلام، والمسائل القطعية، وما أجمع عليه المسلمون، ومن ذلك:
- أ- الإبانة عن أصول الديانة، لابن بطة.
- ب- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري. (١)

- ٥- الفقه الأكبر: وهو يرادف أصول الدين، مقابل الفقه الأصغر وهو الأحكام الاجتهادية، ومن ذلك:
- أ- الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة.

- ٦- الشريعة: أي ما شرعه الله ورَسُولُهُ من سنن الهدى، وأعظمها أصول الدين، ومنه قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.
- [سورة الشورى: ١٣]، ومن ذلك:
- الشريعة، للإمام الآجري.

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص ١٠.

اصطلاحات أهل الفرق التي يطلقونها على هذا العلم:

هناك عدة اصطلاحات تُطْلَقُهَا الْفِرَقُ الضَّالَّةُ على هذا العلم، ومن أشهر تلك المصطلحات ما يلي:

١- **عِلْمُ الْكَلَامِ**: وهذا الإطلاق يعرف عند سائر الفرق المتكلمة؛ كالمعتزلة والأشاعرة، وهو لا يجوز؛ لأنَّ علم الكلام مُبْتَدَعٌ، ويقوم على التَّقْوُلِ على الله بغير علم، ويخالف منهج السلف في تقرير العقائد.

٢- **الْفَلَسَفَةُ**: عند الفلاسفة ومن سلك سبيلهم، وهو إطلاق لا يجوز في العقيدة؛ لأنَّ الفلسفة مبناها على الأوهام، والعقليات الخيالية، والتصورات الخرافية عن أمور الغيب المحجوبة.

٣- **التَّصَوُّفُ**: عند المتصوفة والفلاسفة والمستشرقين ومن نحأ نحوهم، وهو إطلاق مُبْتَدَعٌ؛ لأنَّه ينبي على اعتبار شطحات المتصوفة ومزاعمهم وخرافاتهم في العقيدة.

٤- **الإلهيات**: عند أهل الكلام، والفلاسفة والمستشرقين وأتباعهم، وهو خطأ؛ لأنَّ المقصود به عندهم فلسفات الفلاسفة، وكلام المتكلمين والملاحدة فيما يتعلق بالله تعالى.

٨- استمداد علم العقيدة:

لها مصدران أساسيان هما:

١- كتاب الله تعالى (القرآن الكريم).

٢- السنة الثابتة الصحيحة. فالرسول ﷺ، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وإجماع السلف الصالح مصدر مبناه على الكتاب والسنة.

أمَّا العقل السليم، والفطرة المستقيمة فيوافقان الأدلة المذكورة، ويدركان ضرورة النبوات، وإرسال الرسل، وضرورة البعث والجزاء على الأعمال على الإجمال لا على التفصيل. أمَّا أمور الغيب فلا سبيل لإدراك شيء منها على التفصيل إلا عن طريق الكتاب والسنة.

٩- حكم الشارع في علم العقيدة:

يجب تعلم العقيدة وجوباً عينياً؛ أي أنه يجب على كل مسلمة تعلم العقيدة من حيث الإجمال، أمّا مسألته الدقيقة، والردّ على أهل البدع، فهذا واجب كفاي، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وسيأتي مزيد بيان في الكلام عن وجوب التمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة؛ ولأهمية هذا العنصر سنتناوله بشيء من التفصيل لاحقاً إن شاء الله.

١٠- مسائل علم العقيدة:

مسائل العقيدة: هي القضايا المبحوث عنها فيها، وهي أصول الإيمان الستة، وأسماء الله وصفاته، وعدالة الصحابة، ونحوها من مسائل العقيدة، وأحياناً تُذكر بعض المسائل الفقهية؛ لاتّفاق أهل السنة عليها ومخالفة أهل البدع لهم في ذلك؛ كالمسح على الخفين. (١)

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص ١١ .

المبحث الثاني

أهمية دراسة العقيدة وخصائصها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية دراسة العقيدة وخصائصها.

المطلب الثاني: وجوب التزام العقيدة الإسلامية.

المطلب الثالث: خصائص العقيدة الإسلامية.

المطلب الرابع: قواعد العقيدة الأساسية.

اطبحت الثاني: أهمية دراسة العقيدة وخصائصها:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية دراسة العقيدة السلفية:

إن أهمية دراسة العقيدة السلفية تنبع من أهمية العقيدة نفسها، وضرورة العمل الجاد الدؤوب لإعادة الناس إليها، وذلك لأمر:

أولاً: لقد كانت عناية القرآن بتوحيد الله عظيمة فهو القضية الكبرى، ومهمة

الرسل الأولى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّغُوتَ﴾. [سورة النحل: ٣٦] ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ

الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾. [سورة الزخرف: ٤٥]

فالقرآن كله حديثٌ عن التوحيد، وبيان حقيقته والدعوة إليه، وتعليق النجاة

والسعادة في الدارين عليه. حديثٌ عن جزاء أهل التوحيد وكرامتهم على ربهم، كما أنه

حديثٌ عن ضده من الشرك بالله وبيان حال أهله وسوء منقلبهم في الدنيا، وعذاب الهون

في الآخرة ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ

الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾. [سورة الحج: ٣١] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ

يُشْرِكْ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾. [سورة النساء: ٤٨]

ومكملاته.

إن بعثة رسول الله ﷺ ورسالته وسيرته من أولها إلى آخرها، مكيتها ومدنيها،

حضرها وسفرها، سلمها وحررها كلها في التوحيد منذ أن أمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. [سورة المدثر: ٥] إلى الأمر بإنذار العشيرة ﴿فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

ءَاخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْدِيَةِ﴾ [سورة الأقرين: ٢١٤]. [سورة الشعراء: ٢١٣ -

٢١٤] إلى الأمر بالصدع بالدعوة ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾. [سورة

الحجر: ٩٤] ثم من بعده الأمر بالهجرة ﴿إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. [سورة التوبة: ٤٠] والإذن بالقتال والجهاد ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالَّذِينَ يُضِلُّونَ أَصْفَارَهُمْ لَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. [سورة الحج: ٤٠] إلى فتح مكة حين كسرت الأصنام ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾. [سورة الإسراء: ٨١] إلى الإعلام بدنو الموت ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾. [سورة النصر: ٣] وقال بأبي هو أُمِّي ﷺ وهو في مرض موته: ((لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) لم تخل فترة من هذه الفترات البتة من إعلان التوحيد وشواهدة ومحاربة الشرك وظواهره، ويكاد ينحصر عرض البعثة كلها في ذلك، فما ترك ﷺ تقرير التوحيد وهو وحيد، ولا ذهل عنه وهو محصور في الشعب، ولا انصرف عنه وهو في مسالك الهجرة والعدو مشتد في طلبه، ولا قطع الحديث عنه وأمره ظاهر في المدينة بين أنصاره وأعدائه، ولا أغلق باب الخوض فيه بعد فتح مكة الفتح المبين، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال عن تكرار عرض البيعة على التوحيد ونبد الشرك، فهذه سيرته المدونة وأحاديثه الصحيحة، والقرآن من وراء ذلك كله.

من أجل هذا كان التوحيد أولاً ولا بد أن يكون أولاً في كل عصر وفي كل مصر، أما أركان الإسلام الخمسة الكبرى ومعالمه العظمى فشرعت لتعلن التوحيد وتجسده وتقرره وتؤكدته تذكيراً وتطبيقاً، وإقراراً وعملاً.

فالشهادتان إثبات للوحدانية، نفي للتعدد وحصر للتشريع والمتابعة في شخص المرسل المبلغ محمد ﷺ، والصلاة مفتوحة بالتكبير المنبئ عن طرح كل من سوى الله عز شأنه واستصغار كل من دون الله عز وجل. ناهيك بقرآن الصلاة وأذكارها في منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾. [سورة الفاتحة: ٥]، أمّا الزكاة فهي قرينة الصلاة في التعبد والاعتراف للرب الجليل وإخراجها خالصة لله طيبة بما النفس براءةً من عبادة الدرهم والدينار ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾. [سورة فصلت: ٦-٧] أمّا الصيام الحق فهو الذي يدعُ الصائم فيه طعامه وشرابه وشهوته من أجل ربه ومولاه. أمّا الحج فشعار الأمة كلها في بطاح مكة فهو التلبية بالتوحيد ونفي الشرك.

ثانياً: ما كانت هذه الأدلة المتكاثرة، والحجج المتضافرة، والبراهين المتوافرة في شأن التوحيد، إلا لعظم الأمر، وخطر شأن القضية، وشدة الخوف على الناس من الانحراف والقلوب من الزيغ. ولماذا لا يُخاف عليهم والشياطين ما فتتت تترصد لبني آدم تجتاهم وتُغويهم؟ وفي الحديث القدسي: قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، وَإِنَّهُ قَالَ: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عِبَادِي فَهُوَ لَهُمْ حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ فَاتَّهَمُوا الشَّيَاطِينَ فَاجْتَنَلْتَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا)). (١) كيف لا يكون الخوف والرسول ﷺ خاطب أصحابه الصفوة المختارة من الأمة: ((إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يُقَالُ لِمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فَاطْلُبُوا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ)) (٢) ولماذا لا يُخاف الخلل في التوحيد والنقص في صدق التعبد والتعلق؟ لماذا لا يُحذر من الشرك وأنواعه وأسبابه والله يقول في محكم تنزيله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾. [سورة يوسف: ١٠٦] فانظروا في السحر والشعوذة والتطير والتشاؤم والرقى

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب: الخوف والتقوى، ٤٢٢/٢، وللحديث أصل عند مسلم.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٦٣٩/٢، حديث رقم: ٩٥١.

والتمايم، والحلف بغير الله في صور لا تكاد تُحصر. والغلو في الصالحين، ناهيك بدعاء غير الله، وطلب الغوث من المقبورين، والطواف حول الأضرحة، يدعون عندها ثم يدعونها، ويعلقون عليها القناديل والسرج والستور، ويدبحون عندها ولها، ويتمسحون، ويتطور الحال حتى يتخذونها أعياداً ومنسكاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصورةٌ جديدةٌ من صور الخلل في التوحيد باءت بها فئات من المنتسبين إلى الإسلام تزعم الثقافة والاستنارة لا ترضى بحكم الله ولا تسلم له، بل إن في قلوبها لجرماً، وفي صدورها لغيظاً وضيقاً، إذا أقيم حدٌ من حدود الله اشتمأت قلوبهم، قاموا وقعدوا، وأرغوا وأزبدوا، ولهم إخوان يمدونهم في الغي، يزعمون الحفاظ على حقوق الإنسان، وما ضاعت حقوق الإنسان إلا بهم وبأمثالهم.

ثالثاً: التوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقطب رحاه، وذروة

سنامه، قامت عليه الأدلة، ونادت عليه الشواهد، وأوضحته الآيات، وأثبتته البراهين، نصبت عليه القبلة، وأُسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعُصمت به الأنفس، وانفصلت به دار الكفر عن دار الإسلام، وانقسم به الناس إلى سعيدٍ وشقيٍّ ومهتدٍ وغويٍّ، وجاءت نصوص القرآن والسنة أمرّةً بأخذ الدين وتعلمه، وتعلم الدين أول ما يتناول مسائل العقيدة، ولهذا سماه أهل العلم الفقه الأكبر، وقال النبي ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) وأول ما يدخل في ذلك وأولاه علم التوحيد والعقيدة.

رابعاً: إنما أصل في أعمال الجوارح، بمعنى أن صلاح العقيدة يورث صلاح العمل

والعكس بالعكس، وقد ضرب الله مثلا لذلك بأهل الكتاب حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا

يَفْقَرُونَ ﴿٢٤﴾. [سورة آل عمران: ٢٣-٢٤] فالله عز وجل جعل افتراءهم في الدين،

وفساد اعتقادهم... سببا لفساد أعمالهم وأصلا لإعراضهم.

وما لم يتحقق التوحيد وإخلاص العبادة وتمام الخضوع والانقياد والتسليم فلا تقبل صلاة ولا زكاة ولا يصح صوم ولا حج، ولا يزكوا أي عمل يتقرب به إلى الله ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨). [سورة الأنعام: ٨٨] إذا لم يتحقق التوحيد ويصدق الإخلاص فلا تنفع شفاعة الشافعين، ولا دعاء الصالحين حتى ولو كان الداعي سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ اقرعوا إن شئتم ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠). [سورة التوبة: ٨٠]

خامساً: أن العقيدة السلفية تجعل المسلم يعظم نصوص الكتاب والسنة، وتخصمه من ردّ معانيها، أو التلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى.

سادساً: أنها تربط المسلم بالسلف من الصحابة ومن تبعهم، فتزيده عزّة وإيماناً وافتخاراً، فهم سادة الأولياء، وأئمة الأتقياء، والأمر كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعْتَهُ بِرِسَالَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ)). (١)

أو كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ((مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا، فَلَيْسَتْ بَيْنَ قَدِّمَاتِ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ: أَبْرَهَا قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكْلُفًا، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَإِلْقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى أَثَرِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسِيرِهِمْ،

(1) أخرجه الإمام أحمد في ((المسند)) (٣٧٩/١)، وصحّحه إسناده الشيخ أحمد شاكر (رقم ٣٦٠٠).

فإنهم كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة)). (١)

سابعاً: بالعقيدة الإسلامية تتوحد صفوف المسلمين:

لا يوحد صفوف المسلمين والدعاة إلا الاجتماع على عقيدة السلف الصالح، فعليها تجتمع كلمتهم، وبدونها تتفكك؛ ذلك أنها عقيدة الكتاب والسنة والجيل الأول من الصحابة، وكل تجتمع على غيرها مصيره الفشل والتفكك.

ثامناً: ليس للقلوب سرور وليس للصدور انشراح إلا بالتوحيد:

إن انشراح الصدور لا يكون إلا بالتوحيد والعقيدة الصحيحة، ففيه يكون الولاء والبراء، والحب والبغض، والمودة والعداء. يضعف كل رباط إلا رباط العقيدة، وتضمحل كل وشيجة إلا وشائج الحب في الله. رابطة الإيمان يتهاوى دونها كل صلة بعرق أو تراب أو لون. للإيمان طعم يفوق كل الطعوم، وله مذاق يعلو على كل مذاق، ونشوة دونها كل نشوة. حلاوة الإيمان حلاوة داخلية في نفس رضية وسكينة قلبية تسري سريان الماء في العود، وتجري جريان الدماء في العروق. لا أرق ولا قلق، ولا ضيق ولا تضيق، بل سعة ورحمة، ورضاً ونعمة ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٧٠] الإيمان بالله هو سكينة النفس، وهداية القلب، وهو منار السالكين وأمل اليائسين، إنه أمان الخائفين ونصرة المجاهدين، وهو بشرى المتقين ومنحة المحرومين، الإيمان هو أب الأمل، وأخ الشجاعة، وقرين الرجاء، إنه ثقة النفس ومجد الأمة وروح الشعوب. من ذاق حلاوة الإيمان طاب عيشه، وعرف طريقه، ومن عرف طريقه سار على بصيرة، ومن سار على بصيرة نال الرضا وبلغ المقصد. نعم يمضي في سبيله لا يبالي بما يلقي فبصره وفكره متعلق بما هو أسمى وأبقى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [سورة الفجر: ٢٧-٢٨] ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ [سورة الفجر: ٢٧-٢٨]

(1) ينظر: الحلية لأبي نعيم ٣٠٥/١.

تاسعاً: العَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ ضرورية للإنسان:

إِنَّ العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء، بل أشدُّ من ذلك، وبدونها يُصْبِحُ الإنسان ميتاً، وإن كان يتحرَّك بين ظهراي النَّاسِ.

عاشراً: هي أساس بناء المجتمع الإنساني:

فإن كانت عَقِيدَةُ المجتمع سليمة انضبط ذلك المجتمع وترابط وارتقى إلى ذروة الكمال الإنساني، وإن كانت عقيدته منحرفةً تَفَكَّكَ وَتَشَتَّتَ ذلك المجتمع، وهبط إلى الحَضِيضِ الدَّانِي، وقد ذَلَّتِ التَّجَارِبُ على أَنَّ صلاح سلوك الفرد يتناسب مع صلاح عقيدته، وفساد سلوك الفرد يتناسب مع مدى فساد عقيدته.

المطلب الثاني: وجوب التزام العقيدة الصحيحة.

لئن كانت عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مستمدة من الكتاب والسُّنَّةِ، فهذا يعني أَنَّهَا الْأَعْلَمُ وَالْأَسْلَمُ وَالْأَحْكَمُ، وهذا يعني أَنَّ التَّزَامَهَا متعيَّنٌ؛ لِأَنَّهَا الْحَقُّ وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، فَهِيَ العروة الوثقى، والدين الخالص، والصراط المستقيم، وَهِيَ وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ تَعَالَى تَوَعَّدَ مَنْ خَالَفَ الرَّسُولَ ﷺ، وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ

وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾. [سورة النساء: ١١٥] وَسَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ لَا شَكَّ أَنَّهُ سَبِيلُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، والقرون الفاضلة في الدين، الَّذِينَ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ ﷺ، وَأَمَرْنَا بِاتِّبَاعِهِمْ.

وقد بين النبي ﷺ، أَنَّهُ سَيَكُونُ بعده اختلافٌ وافتراقٌ كثير، وَأَنَّ الحق مع المتمسكين بسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديين؛ حَيْثُ قَالَ ﷺ: ((اتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوْاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)).

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ ﷺ، وَسُنَّةِ الخلفاء الراشدين، وَاجْتَنَبُوا البِدَعَ هم أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَإِذَا كَانَ الأمر كذلك، فَإِنَّ التمسك بهذه العَقِيدَةِ الْحَقِّ، أمرٌ معينٌ شرعاً، وَذَلِكَ

لِلدَّالَةِ الْآتِيَةِ: (١)

١ - أَنَّهَا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِاتِّبَاعِهِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾. [سورة البينة: ٥]

وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾. [سورة النساء: ٣٦]

(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور/إبراهيم محمد البريكان ص ٦٠.

٢- أَنَّهَا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[سورة الحشر: ٧]

٣- لِأَنَّهَا الْحَقُّ الَّذِي أُرْسِلَتْ مِنْ أَجْلِهِ الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتْ الْكُتُبُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

[سورة الأنبياء: ٢٥]

٤- لِأَنَّهَا الْغَايَةُ مِنْ خَلْقِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ:

قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. [سورة الذاريات: ٥٦]

٥- لِأَنَّهَا دِينُ اللَّهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

[سورة الأنعام: ١٥٣]

٦- لِأَنَّهَا مِمَّا حَكَمَ اللَّهُ وَقَضَى بِاتِّبَاعِهِ:

وَمَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ وَقَضَاهُ فَهُوَ وَاجِبُ الْإِتِّبَاعِ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا

تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. [سورة الإسراء: ٢٣]

٧- اِمْتِدَاحُهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالتَّزَامِهَا وَتَرْكُ ضِدِّهَا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾. [سورة المؤمنون: ٥٩]

٨- أن الله حرم مخالفتها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَيَالْوَالِدِينَ إِحْسَنًا﴾. [سورة الأنعام: ١٥١]

٩- استحلال قتال من لم يقبلها:

قَالَ ﷺ: ((أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ
اللَّهِ)).

١٠- لأنها متعلق سعادة الخلق في الدنيا والآخرة:

قَالَ ﷺ: ((أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ
قَلْبِهِ)).

وقال ﷺ: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَأَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً
لَأُمَّتِي فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)). (١)

(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور/إبراهيم محمد البريكان ص ٦٠-٦٢ .

المطلب الثالث: خصائص العقيدة الإسلامية:

تَمَيَّزَتِ الْعَقِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بَعْدَ خِصَائِصٍ مِنْهَا مَا يَلِي:

١ - سلامة المصدر:

وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة وإجماع السلف وأقوالهم فَحَسَبَ: وهذه الخاصية لا تُوجَدُ في مذاهب أهل الكلام، والمبتدعة، والصوفية، الذين يعتمدون على العقل والنظر، أو على الكشف والحَدْسِ والإلهام والوجد، وغير ذلك من المصادر البشرية النَّاقِصَةَ التي يحكِّمونها أو يعتمدونها في أمور الغيب، والعقيدة كلها غيبٌ. أمَّا أهل السنة فهم بحمد الله معتصمون بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع السلف الصالح وأقوالهم، وأيُّ مُعْتَقِدٍ يُسْتَمَدُّ من غير هذه المصادر إنما هو ضلالٌ وبدعةٌ. فالذين يزعمون أنهم يستمدون شيئاً من الدين عن طريق العقل والنظر، أو علم الكلام والفلسفة، أو الإلهام والكشف والوجد، أو الرؤى والأحلام، أو عن طريق أشخاص - غير الأنبياء - يزعمون لهم العصمة أو الإحاطة بعلم الغيب، من أئمة، أو رؤساء، أو أولياء، أو أقطاب أو نحوهم، أو يزعمون أنهم يسعهم العمل بأنظمة البشر، من زعم ذلك فقد أعظم على الله الفرية، ونقول لمن زعم ذلك كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ١١١] وأنى له أن يأتي إلا بشبه الشيطان. وهذه الخصيصة وهي الاعتماد على الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح سمة من سمات أهل السنة لا تتخلف في كل مكان وزمان، والحمد لله الكريم المنان. (١)

٢- أنها تقوم على التسليم لله تعالى، ولسوله ﷺ:

وذلك لأنَّ الْعَقِيدَةَ غَيْبٌ، والغيب يقوم ويعتمد على التسليم والتصديق المطلق لله تعالى، ولسوله ﷺ، فَالتَّسْلِيمُ للغيب من صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا الْحُلُمَ إِذْ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ نَحْنُ بِاللَّهِ أَكْفَرُ عَلَىٰ مَا حَفِيَ قُلُوبُنَا أَلَمْ نَكْتُبْ لَكَ فِي الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة البقرة: ١-٣]

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٢٩.

والغيب لا تدركه العقول ولا تُحِيطُ به، ومن هنا فأهلُ السُّنَّةِ يَقْفُونَ في أمرِ العَقِيدَةِ على ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، بخلاف أهلِ البِدَعِ فهم يخوضون في ذلك رجماً بالغيب، فلا هم أراحوا عقولهم بالتَّسليم، ولا عقائدهم ودمهم بالاتباع، ولا تركوا عامَّةً أتباعهم على الفطرة التي فطرهم الله عليها.

٣- موافقتها للفطرة القويمة، والعقل السليم:

لأنَّ عَقِيدَةَ أهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تقوم على الاتِّباع والافتداء والاهتداء بهدي الله تَعَالَى، وهدي رسوله ﷺ، وما عليه سَلَفُ الأُمَّةِ فهي تَسْتَقِي من مَشْرَبِ الفطرة، والعقل السَّليم، والهدي القويم، وما أعذبه من مشرب. بل هي عَقِيدَةٌ تشبع الجَوْعَةَ التي لا تشبعها النُّظُمُ الفلسفيَّة، ولا المذاهب الوثنية، ولا السلطان السياسي، ولا الثراء المالي: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٠]

أما المعتقدات الأخرى فما هي إلا أوهام، وتخرُّصات، تُعْمِي الفطرة، وتُحِيرُ العقول.

٤- اتصال سندها بالرَّسُولِ ﷺ، والصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ وأئمة الهدى، قولاً وعلماً

وعملاً واعتقاداً:

فلا يوجد - بحمد الله - أصلٌ من أصول عَقِيدَةِ أهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ليس له سند متصل بالرسول ﷺ، وقدوة من الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ، وأئمة الدين إلى اليوم، بخلاف عقائد المتدعة التي خالفوا فيها السَّلف، فهي مُحَدَّثَةٌ ولا سند لها من كتابٍ أو سنةٍ أو أثرٍ عن الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ، وما لم يكن كذلك فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة. (١)

(١) مباحث في عَقِيدَةِ أهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ للدكتور /ناصر بن عبد الكريم العقل ص٩، مدخل لدراسة العَقِيدَةِ الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص٣٨٣.

٥- الوضوح والبيان:

تمتاز عقيدة أهل السنة والجماعة بالوضوح والبيان، وخُلُوها من الغموض والخفاء، ونقائها من الفلسفة والتعقيد في ألفاظها ومعانيها؛ لأنها مستمدة من كتاب الله المين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن كلام رسوله الأمين عليه أركى صلاة وأتم تسليم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، وتنجي المتمسك بها من هلكة الخوض في ذات الله، وردّ نصوص كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن ثمّ تكسب صاحبها الرضا والاطمئنان لقدر الله، وتقدير عظم الله، ولا تكلف العقل التفكير فيما لا طاقة له به من الغيبات؛ فالعقيدة السلفية سهلة ميسرة، بعيدة عن التعقيد والتعجيز. بينما المعتقدات الأخرى هي من تخليط البشر أو تأويلهم وتحريفهم، وشتان بين المشريين، لا سيما والعقيدة توقيفية غيبية لا مجال للاجتهاد فيها كما هو معلوم. (١)

٦- سلامتها من الاضطراب والتناقض:

فإن العقيدة الإسلامية الصافية لا اضطراب فيها ولا تناقض ولا التباس، وذلك لاعتمادها على الوحي، وقوة صلة أتباعها بالله، وتحقيق العبودية له وحده لا شريك له، والتوكل عليه وحده، وقوة يقينهم بما معهم من الحق، وسلامتهم من الحيرة في الدين، ومن القلق والشك والشبهات، بخلاف أهل البدع فلا تخلو أهدافهم من علة من هذه العلل. أصدق دليل على ذلك ما حصل لكثير من أئمة علم الكلام والفلسفة والتصوف من اضطراب وتقلب وندم بسبب ما حصل منهم من مجانبة عقيدة السلف، خاصة عند التقدم في السن، أو عند الموت؛ كما حصل للإمام أبي الحسن الأشعري، حيث رجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة بعد الاعتزال، وكذا الباقلاني، وأبو محمد الجويني، والشهرستاني، والرازي، وغيرهم كثير.

(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور/إبراهيم البريكاني ص ٥٢، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص ٣٨٣.

٧- أنها سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين:

من أبرز خصائص العقيدة الإسلامية أنها من أسباب النجاح، والنصر والتمكّن لمن قام بها ودعا إليها بصدق وعزمٍ وصبر، فالطائفة التي تتمسك بهذه العقيدة السلفية، هي الطائفة الظاهرة والمنصورة التي لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم إلى يوم القيامة؛ كما أخبرنا بذلك الرسول ﷺ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)).

٨- عقيدة الجماعة والاجتماع:

ذلك أنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين على الحق، ووحدة صفوفهم، وإصلاح ما فسد من شؤون دينهم ودنياهم؛ لأنها تردّهم إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين، وهذه الخاصية لا يمكن أن تتحقّق على يد فرقة أو أنظمة لا تقوم على هذه العقيدة أبداً، والتأريخ شاهدٌ على ذلك فالدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعزّز بها الإسلام قديماً وحديثاً. (١)

٩- البقاء والثبات والاستقرار:

من أهم خصائص عقيدة أهل السنة: البقاء والثبات والاستقرار والاتّفاق، فعقيدتهم في أصول الدين ثابتة طيلة هذه القرون، وإلى أن تقوم الساعة، بمعنى أنها متّفقة ومستقرة ومحفوظة، في ألفاظها ومعانيها، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرّق إليها التحريف ولا التّبديل، ولا التّفسيق ولا الالتباس، ولا الزيادة ولا النقص.

وذلك لأنها مستمدة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسول الله ﷺ، وقد تلقاه الصحابة ثمّ التابعون، وأئمة الهدى المتمسكون بهديه ﷺ إلى اليوم تلقيناً وكتابةً.

بخلاف فرق الضلال، فهم مضطربون في كلّ ما خالفوا فيه السلف مما أوّلوه أو ابتدعوه، ويكثر في عقائدهم التّفسيق والالتباس والاضطراب، والتّوقف فيما جاء عن الله وعن رسوله

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور /ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٣٣ .

ﷺ، وابتداع الألفاظ والمعاني التي لم ترد عن الله ولا عن رسوله ﷺ. (١)

١٠- وسطية أهل السنة:

الوسطية تعني الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين فيهما إفراطٌ وتفريطٌ، وهذه الوسطية هي العدل والطريق الذي تجتمع فيه الفضيلة، فأهل السنة وَسَطٌ بين الفرق الأخرى في جميع جوانب الدين، فهم وَسَطٌ في أسماء الله تَعَالَى وصفاته، وَسَطٌ في الوعد والوعيد، وَسَطٌ في مواقف الصَّحَابَةِ، وهكذا في سائر أبواب الاعتقاد؛ لَأَنَّ عَقِيدَةَ السَّلَفِ مُسْتَمَدَّةٌ من الكتاب، والسُّنَّةِ، وما كان كذلك فهو خيارٌ وسط في كل شيء. (٢)

١١- إنها تعصم الدم والمال، وتصحح جميع الأعمال:

أَمَّا الْعَقِيدَةُ الْفَاسِدَةُ فَإِنَّهَا تَهْدِرُ الدَّمَ وَالْمَالَ، وَتُحْبِطُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَلِي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾. [سورة الزمر: ٦٥]

٢- قوله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

﴿٥﴾. [سورة المائدة: ٥]

٣- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَا يَحِلُّ دَمٌ أَوْ مَالٌ مِنْ أُمَّةٍ يُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولٌ

لِللَّهِ إِلَّا يَأْخُذِي ثَلَاثٌ: الشَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ)). (٣)

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٣٣-٣٤.

(٢) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص ١٥٦.

(٣) إسناده صحيح على شرط الشيخين وقد أخرجه، وأصحاب السنن وغيرهم، وهو مخرج في إرواء الغليل برقم:

١٢- أنها تجيب على جميع التساؤلات التي تشغل الفكر الإنساني:

مثل من أين جئنا؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ ومن الموجد له؟ وما هي أسماؤه وصفاته؟ ولماذا أوجدنا؟ وما دورنا في هذه الحياة؟ وما علاقتنا بالخالق؟ وهل هناك عوالم غير منظورة؟ وهل بعد هذه الحياة حياة نصير إليها؟ وكيف تكون تلك الحياة؟ كلُّ هذه الأسئلة لا تُوجد عقيدة لديها إجابة صادقة كافية شافية عليها إلا في العقيدة الإسلامية الصحيحة. (١)

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية عثمان جمعة ضميرية ص ٣٧-٣٨.

المطلب الرابع: قواعد العقيدة الأساسية:

أولاً: القواعد العامة:

١- مصادر عقيدة أهل السنة والجماعة:

نظراً لأن عقيدة أهل السنة تُوفقيّة، فهي تقوم على التسليم بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، دون تحريف، ولا تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل. ولها مصدران أساسيان هما:

أ- كتاب الله تعالى (القرآن الكريم).

ب- السنة الثابتة الصحيحة.

فالرسول ﷺ، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وإجماع السلف الصالح مصدر مبناه على الكتاب والسنة.

والفطرة المستقيمة والعقل السليم: رافدان مؤيدان لا يستقلان بتقرير تفصيلات

العقيدة، فهما يوافقان الكتاب والسنة ولا يعارضهما.

وإذا ورد ما يوهم التعارض بين النقل والعقل، اتهمنا عقولنا، فإن النقل الثابت

مقدم ومحكم في الدين، فتقديم عقول الناس وآرائهم الفاسدة على كلام الله تعالى

وكلام رسوله ﷺ ضلال وشقاء.

٢- خبر الآحاد الثابت عن رسول الله ﷺ:

فإن الحديث إذا صح عن النبي ﷺ، وإن كان من خبر الآحاد وجب قبوله، فهو

حجة قطعية. (١)

٣- ما اختلف فيه في أمور الدين فمرده إلى الله ورسوله ﷺ:

فأي أمر من أمور الدين يقع فيه التنازع فيجب رده إلى كتاب الله تعالى، وسنة

رسوله ﷺ؛ كما فهمهما الصحابة والتابعون، والسلف الصالحون؛ إذ المرجع في فهم

نصوص الكتاب والسنة هم الصحابة والتابعون، ومن اقتفى أثرهم من أئمة الهدى

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٣٨ .

والدين، ولا عبرة بمن خالفهم؛ لأنه مُتَّبِعٌ غير سَبِيلِ المؤمنين. فيجبُ التَّسْلِيمُ للأحاديثِ الصَّحِيحَةِ، وآثارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، من غيرِ كَيْفٍ ولا لِمَ؛ لأنَّ ذلكِ بَدْعَةٌ. (١)

٤- أصول الدين والعقيدة توقيفية:

فهي عقيدة يُوقَفُ بها عند الحدود التي حدَّدها وبينها، وبلغها النبي ﷺ، فلا مجال فيها لزيادةٍ أو نقصان، ولا تعديلٍ ولا تبديلٍ؛ وذلك لأنَّ العقيدة ربَّانِيَّةُ المصدر، موحى بها من عند الله تَعَالَى.

فإنَّ كُلَّ محدثةٍ في الدينِ بَدْعَةٌ، وكُلُّ بَدْعَةٍ ضلالةٌ؛ كما صحَّ ذلك عن رسولِ الله ﷺ.

فليس لأحدٍ أن يُحدِثَ أمراً من أمور الدين، زاعماً أنه يجب التزامه أو اعتقاده، فإنَّ الله تَعَالَى أكمل الدين، وانقطع الوحي، وختمت النبوة (١)؛ لقوله تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. [سورة المائدة: ٣]

وقوله ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)). وهذا الحديث قاعدةٌ من قواعد الدين وأصلٌ من أصول العقيدة. ومن اعتقد أنه يسعه الخروج عما جاء به النبي ﷺ من الدين، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

٥- يجب التزام الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة في العقيدة:

يجب الالتزام بالألفاظ الواردة في الكتاب والسنة في العقيدة، واجتناب الألفاظ المحدثّة التي ابتدعتها المتكلمون والفلاسفة وأشباههم من أهل البدع؛ لأنَّ العقيدة توقيفية، فهي مما لا يعلمه إلا الله ﷻ.

(١) شرح قصيدة النونية ٤١٨/٢ .

٦- أمور العقيدة غيبٌ:

أمور العقيدة غيبٌ ومبناها على التسليم بما جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ، ظاهراً وباطناً، ما عقلناه منها وما لم نعقله، فمن لم يُسلم فيها لله تعالى، ولرسوله ﷺ، لم يَسلم دينه. (١)

٧- لا يجوز الخوض والجدل والمرء في العقيدة ونصوصها:

لا يجوز الخوض في نصوص العقيدة؛ والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم؛ لأنها غيبٌ، إلا بقدر البيان وإقامة الحجّة، مع التزام منهج السلف في ذلك.

قال الأوزاعي: "إذا أراد الله بقومٍ شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل". (٢)

٨- لا يجوز تأويل نصوص العقيدة:

لا يجوز تأويل نصوص العقيدة، ولا يجوز صرفها عن ظاهرها بغير دليل شرعي ثابت عن المعصوم ﷺ، ولهذا لما سلط المحرفون التأويلات الباطلة على نصوص الشرع فسد الدين فساداً لولا أن الله ﷻ تكفل بحفظه، وأقام له حرساً وكلهم بحمايته من تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، ومن رحمة الله بهذه الأمة أنه يبعث لها عند دروس السنة، وظهور البدعة من يجدد لها دينها، ولا يزال يعرس في دينه غرساً يستعملهم فيه علماء وعملاً. (٣)

٩- من لوازم العقيدة العمل بالشرعية:

فالحكم بغير ما أنزل الله تعالى ينافي التوحيد والتسليم لله تعالى، ولرسوله ﷺ،

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٣٨-٣٩، المدخل لدراسة العقيد

الإسلامية للدكتور/إبراهيم محمد البريكان ص ٥٤-٥٧ .

(٢) اعتقاد أهل السنة ١/١٤١ .

(٣) الصواعق المرسله ٢/٤٠٠ .

فتجويز الحكم بغير شرع الله كفرٌ أكبر، أمّا العدول عن شرع الله في واقعة معينة لهوىً في النفس، أو إكراهٍ مع الالتزام بشرع الله فهو كفرٌ أصغر، أو ظلمٌ، أو فسوقٌ!!

ثانياً: قواعد تفصيلية:

يتلخَّصُ اعتقاد أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ فِي الْجُمْلَةِ فِيمَا يَلِي:

١- عقيدتهم في أسماء الله وصفاته:

إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تمثيلٍ ولا تكيف، ولا تشبيهٍ ولا تحريفٍ، ولا تأويلٍ ولا تعطيلٍ؛ كما قال تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: ١١)

والله تَعَالَى وصف نفسه، ووصفه رسوله ﷺ بأنه: سميعٌ، بصيرٌ، عالمٌ، متكلمٌ، حيٌّ، قديرٌ، وأنه مستورٌ على عرشه، فوق عبادته، وأنه تَعَالَى يرضى ويسخط، ويغضب ويجب، كما يليق بجلاله وعظمته، مع الجزم بنفي الشبيه والمثيل. (١)

٢- عقيدتهم في مسائل الإيمان وسائر المغيبات:

أ- من أصول أهل السُّنَّة أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ:

يزيد وينقص، ويشمل الإيمان بكل ما أخبر الله به، أو أخبر عنه رسوله ﷺ، من أمور الغيب والشهادة، جملةً وتفصيلاً، ومن ذلك:

١- الإيمان بالله تَعَالَى وتوحيده بالرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأُلُوهِيَّةِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

٢- الإيمان بالملائكة، وأنهم عبادٌ مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم مُوَكَّلُونَ بعبادة الله تَعَالَى، ومنهم من له وظائف وأعمالٌ أخرى، كاختصاص جبريل الرُّبُوبِيَّةِ بإنزال الوحي، ومَلَكُ الموت بقبض الأرواح، ومالك بجزارة النَّارِ، ومنهم من وُكِّلَ بكتابة الأعمال، والمقادير، وتسيير السَّحَابِ، وإنزال المطر، ومنهم حَمَلَةُ الْعَرْشِ...

٣- الإيمان بِالْكِتَابِ، الْمُنزَّلَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى رُسُلِهِ هِدَايَةً لِلْعِبَادِ، وَمِنْهَا: الزَّبُورُ، وَالتَّوْرَةُ، وَالْإِنْجِيلُ، وَالْقُرْآنُ، وَهُوَ أَكْمَلُهَا وَنَاسِخُهَا.

(١) مباحث في عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٤٠.

٤- الإيمان بالأنبياء، والمرسلين، جميعاً، ومن جاء ذكره منهم في القرآن الكريم، وصحيح السنة، وجب الإيمان به على وجه الخصوص، وأنهم كلهم بلغوا رسالات الله، ودَعَوْا إلى تَوْحِيدِهِ وحذروا من الشرك. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. [سورة النحل: ٣٦]

وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هو أفضلُ الخلق وخاتمُ النَّبِيِّينَ، بعثه الله إلى النَّاسِ جميعاً، وبموته ﷺ انقطع الوحي، وأكَمَلَ اللهُ الدِّينَ.

٥- الإيمان باليوم الآخر، وأنَّ الموت حقٌّ، والإيمان بنعيم القبر وعذابه، والبعث، والنَّفخ في الصُّورِ، والنَّشور، والعرض، والحساب والجزاء، والصُّحف، والميزان، والصِّراط، والحوض، والجنَّة ونعيمها، والنَّار وعذابها... ويؤمنون بالسَّاعة وأشراتها، ومنها: خروج الدَّجَّال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج المهدي، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة، وغير ذلك مما ثبت في الأحاديث.

٦- الإيمان بالقدر، خيره وشره، حلوه ومُرَّه من الله تَعَالَى، وأنَّ الله علم كلَّ شيءٍ قبل أن يكون، وكتب ذلك في اللُّوح المحفوظ، وأَنَّهُ تَعَالَى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأَنَّهُ تَعَالَى خالق كلِّ شيءٍ، وأَنَّهُ قَدَّرَ الأرزاق، والآجال، والسَّعادة والشَّقَاءَ، والهداية والضَّلال، وأَنَّهُ تَعَالَى فَعَّالٌ لما يريد، وأَنَّهُ تَعَالَى أخذ الميثاق على بني آدم، وأشهدهم على أنفسهم أَنَّهُ ربهم.

ب- القرآن:

من أصول أهل السنة أنَّ القرآن الكريم كلام الله منزلٌ غير مخلوق، وأنَّ من زعم أَنَّهُ مخلوقٌ فقد كفر.

ج- الرؤية:

وذلك أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة بأبصارهم، من غير كيفٍ ولا إحاطة.

د- الشفاعة:

فالمؤمنون يؤمنون بسائر الشفاعات التي ثبتت في القرآن والسنة بشروطها يوم القيامة، وأعظمها: شفاعة النبي ﷺ العظمى للخلائق يوم القيامة، وشفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وغير ذلك من الشفاعات له ﷺ، ولغيره من الملائكة والتبيين والمؤمنين وغيرهم؛ كما جاءت بذلك الآثار الصحيحة.

هـ- الإسراء والمعراج:

الإسراء إلى بيت المقدس، والمعراج إلى السماء السابعة، وسدرة المنتهى ثابت للنبي ﷺ؛ كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ. (١)

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٤٣ .

ثالثاً: عقيدتهم في بقية الأصول والأحكام الاعتقادية:

١- من أصول الدين عند أهل السنة: حب الرسول ﷺ:

محبة الرسول ﷺ واجبة؛ حتى يكون الرسول ﷺ أحب للمرء من نفسه، وولده، والناس أجمعين؛ فقد قال ﷺ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))، ثم حب أصحاب رسول الله ﷺ، وزوجاته أمهات المؤمنين، والترضي عنهم، وأنهم أفضل الأمة، والكف عما شجر بينهم، وأن بغضهم أو الطعن في أحد منهم ضلال ونفاق.

وأفضلهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وال عشرة المبشرون بالجنة. كما يدين أهل السنة بحب آل بيت رسول الله ﷺ، ويستوصون بهم خيراً، ويرعون لهم حقوقهم؛ كما أمر رسول الله ﷺ، من غير غلو ولا جفاء، لا إفراط ولا تفريط.

٢- مجانبة أهل البدع والنفاق والأهواء، وأهل الكلام:

مجانبة أهل البدع، وبغضهم، والتحذير منهم؛ كالجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والقدرية، وغلاة المرجئة، وغلاة الصوفية، والفلاسفة، وسائر الفرق والطوائف، التي جانبت السنة والجماعة.

٣- لزوم الجماعة:

يجب الاجتماع والاعتصام بحبل الله، القرآن والسنة، فإن الفرقة عن أهل الحق شذوذ وهلكة وضلال. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. [سورة آل عمران: ١٠٣]

٤- وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف:

يجب السَّمْعُ والطَّاعَةُ لولاة الأمر بالمعروف، والتَّدْبِينُ بطاعتهم في طاعة الله ما لم يؤمروا بمعصية، ولا يجوز الخروج عليهم، وإن جاروا، إلا أن يُرى منهم كُفْرٌ بواحٍ عليه من الله برهان.

٥- وجوب النصيحة لله ولرسوله ﷺ ثم للأئمة المسلمين وعامتهم:

أئمة المسلمين هم ولاة الأمور من الأمراء والعلماء، فيجب تقديم النصيحة لهم، ولعامّة المسلمين.

أما النصيحة لأئمة المسلمين فحبُّ صلاحهم ورشدهم وعدلهم، واجتماع الأمة عليهم، وكرهية افتراق الأمة عليهم، والبغض لمن أراد الخروج عليهم. (١)

٦- الجهاد مع الإمام براً كان أو فاجراً:

الجهاد من شعائر الدين، وذروة سنام الإسلام، وأنه قائمٌ إلى يوم القيامة.

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنَّ الأمر بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر أصلٌ من أصول الدين، ومن أعظم شعائر الإسلام، وهو واجبٌ على الاستطاعة.

٨- أحكام المسلمين وحقوقهم:

أ- من شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ ﷺ، وولى صلواتنا:

فمن استقبل قبلتنا، وأظهر شعائر الإسلام، فهو مسلمٌ له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، حرامٌ الدم والمال والعرض، وحسابُهُ على الله، وإساءةُ الظنِّ به، أو التَّوقُّفُ في إسلامه بدعةٌ وتنطعٌ في الدين.

(١) الإيمان ١/٤٢٤ .

ب- لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنوب يرتكبه:

لا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ، إِلَّا مِنْ جَاءَ تَكْفِيرُهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَانْتَفَتْ فِي حَقِّهِ عَوَارِضُ الْإِكْرَاهِ، أَوِ الْجَهْلِ، أَوِ التَّأْوِيلِ؛ كَمَا لَا يَجُوزُ الشُّكُّ فِي كُفْرٍ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِكُفْرِهِ، مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ.

ج- لا نجزم لأحد بجنة أو نار:

لَا نَشْهَدُ لِأَحَدٍ بِجَنَّةٍ وَلَا بِنَارٍ، إِلَّا مَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

د- ومرتكب الكبيرة في الدنيا فاسقٌ ومحاصي:

حُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ فَاسِقٌ وَعَاصِيٌّ، وَفِي الْآخِرَةِ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذِّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِ، وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ.

هـ- الصَّلَاةُ خَلْفَ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ (وَلَاةُ أُمُورِهِمْ):

نُصِّلِي خَلْفَ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، وَالْجِهَادَ مَعَهُمْ.

و- وجوب الحب في الله والبغض في الله:

الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الْإِيمَانِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَلَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ لَهُ مِنَ الْوَلَايَةِ بِقَدْرِ مَا لَدَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِتِّبَاعِ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَمِنْ الْبِرَاءَةِ بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْ فِسْقٍ وَمَعْصِيَةٍ.

ز- كَرَاهَاتُ الْأَوْلِيَاءِ حَقٌّ:

وَلَيْسَ كُلُّ كَرَامَةٍ دَلِيلٌ عَلَى التَّوْفِيقِ وَالصَّلَاحِ، إِلَّا لِمَنْ كَانَ عَلَى هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وقد تكون الكرامة ابتلاء، وليس كلَّ حارقٍ للعادة يكون كرامةً. (١)

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٤٣-٤٦ .

الفصل الثاني: منهج القرآن العظيم في

الدعوة إلى العقيدة.

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: منهج القرآن العظيم في تقرير التوحيد.
- المبحث الثاني: منهج الاستدلال على العقيدة عند السلف.
- المبحث الثالث: منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع.
- المبحث الرابع: قواعد السلف في الرد على أهل البدع.

امبحث الأول

منهج القرآن العظيم في تقرير العقيدة

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: منهج القرآن في تقرير التوحيد على وجه الإجمال.
- المطلب الثاني: منهج القرآن في تقرير التوحيد على وجه التفصيل.

المطلب الأول: منهج القرآن في تقرير التوحيد على وجه الإجمال:

قال ابن القيم:

- ١- إنَّ القرآنَ إمَّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التَّوْحِيدُ العلمي الخبري.
 - ٢- وإمَّا دعوةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التَّوْحِيدُ الإرادي الطلبي.
 - ٣- وإمَّا أمرٌ ونهيٌ، وإلزامٌ بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التَّوْحِيدِ ومكملاته.
 - ٤- وإمَّا خبرٌ عن إكرام أهل التَّوْحِيدِ وما فعل به في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء تَوْحِيدِهِ.
 - ٥- وإمَّا خبرٌ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النَّكَالِ وما يحلُّ بهم في العقبي من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التَّوْحِيدِ.
- فالقُرآنُ كله في التَّوْحِيدِ، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشُّرْكِ وأهله، وجزائهم. (١)

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص ٢٣٥-٢٣٦.

المطلب الثاني: منهج القرآن في تقرير التوحيد على وجه التفصيل:

إنَّ للقرآن الكريم منهجه الخاص في تقرير عقيدة التَّوْحِيدِ؛ وذلك لأنَّه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد سَلَكَ القرآنُ الكَرِيمُ في بيان حقيقة هذا التَّوْحِيدِ ومقتضياته مسالكَ شتى: (١)

١ - الاستدلال على توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية:

إذا نظرنا في الآياتِ القرآنيةِ نَرَى أَنَّهَا تُنبِّهُ إلى دليل الخلق والإبداع، وهذا الدليلُ مبنيٌّ على أصليْن:

أ - أنَّ الموجودات مخلوقة.

ب - كلُّ مخلوق لا بد له من خالق.

ويعتمدُ هذا الدليلُ على إثارة الفكر للتعرُّفِ على خالق الموجودات جميعها، والاستدلال بذلك على وحدانيته تعالى، وهو أوَّلُ دليلٍ ثلُفَتُ الآياتُ النَّظَرَ إليه؛ كقوله تعالى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ ﴿١١٦﴾﴾

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾. [سورة البقرة: ١١٦-١١٧]

ومُلَخَّصُ هذا الدليل: أنَّ كلَّ ما في الكون مخلوقٌ، والمخلوق لا بدَّ له من خالق؛ لأنَّه يستحيل أن يكون خلق من غير خالق، وقد كان المشركون يؤمنون بهذا الدليل من حيث دلالته على توحيد الربوبية، ولا يؤمنون بدلالته على توحيد الألوهية، قال تعالى عنهم:

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾

[سورة العنكبوت: ٦١]

وقد أقام القرآن الحجَّة عليهم بتوحيد الربوبية ليكون موصلاً لهم لتوحيد الألوهية؛ حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

[سورة البقرة: ٢١]

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم لمحمد أحمد ملكاوي ص ١٤١ .

والمعنى: كما أن المتفرد بخلقكم وخلق الذين من قبلكم، والمتفرد برُبُوبِيَّةِ السموات والأرض، وليس لذلك ربٌ سِوَاهُ، فكذلك ينبغي ألا يتخذ إلهٌ سِوَاهُ ﷻ. (١)

٢- تسفيه ألهة المشركين، والتشجيع على عبادتها:

كقوله تعالى: ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾.

[سورة الأنبياء: ٦٧]، وقوله: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

﴿٥٤﴾. [سورة الأنبياء: ٥٤]

٣- تصوير ما سيكون يوم القيامة بين العابدين والمعبودين:

ذكر القرآن ما سيكون بين العابدين والمعبودين، والأتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعادة؛

للتنفير من الشرك وبيان سوء عاقبة أهله؛ كقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ

اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْتَ لَنَا كَرَّةٌ

فَنَتَّبِرَآ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ

مِنَ النَّارِ﴾ ﴿١٦٧﴾. [سورة البقرة: ١٦٦-١٦٧]

٤- بيان أن المعبودين من دون الله كالْمَسِيحِ وأمه والعزير دينهم

التوحيد:

ذكر القرآن الكريم أن المعبودين من الأنبياء دينهم توحيدُ الله ولا يرضون بهذا الشرك؛

كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ

رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ﴿٥٧﴾. [سورة الإسراء: ٥٧]، فالعابد

لهم طلب منهم شيئاً لا يستطيعونه، ولا يرضونه، ولا يُقْرُونَهُ. (٢)

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم لمحمد أحمد ملكاوي ص ١٤١-١٦١.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٢٧-٢٩.

٥- رده سبحانه على المشركين باتخاذهم شفعاء بأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه:

رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَسْطَاءَ وَشَفَعَاءَ؛ لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَبِينَ أَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُونَهُمْ، وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، وَأَنَّهُ لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْكَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾. [سورة الزمر: ٤٣-٤٤]

٦- تقرير القرآن للتوحيد بضرب الأمثال:

لقد ضرب الله ﷻ للناس في هذا القرآن من كلِّ مثل؛ لأنَّ ضرب الأمثال فيه فوائد كثيرة؛ كالتذكير، والوعظ، والحثُّ، والزَّجر، والتَّقرير، وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، وتشبيه الخفي بالجلي، حتى يرى المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مُشاهد.

وقد امتن الله ﷻ على عباده بأنَّ ضرب لهم الأمثال قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ

فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾. [سورة الإسراء: ٨٩]

وقال تَعَالَى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾. [سورة إبراهيم: ٤٥]

وقد اقتصر على أمثال القرآن التي سِقت لتقرير وحدانية الله تَعَالَى ومهاجمة الشرك،

وهي كما يلي:

أ- الأمثال المضروبة لله ولما يعبد من دونه:

ضرب الله تَعَالَى مثلاً لنفسه ولما يعبد من دونه بعدم قبول المشركين إشراك عبيدهم في ما يخصهم، فكيف يقبلون ذلك لله تَعَالَى؟.

قال تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ

شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ

نُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ . [سورة الروم: ٢٨]

وهذا المثل هو قصة عبدٍ في ملك غيره عاجزٍ عن التصرف، وحرٌّ غنيٌّ مُتصَرِّفٌ فيما آتاه الله، فإذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنسٍ واحدٍ مشتركين في الإنسانية، فكيف تشركون بالله وتسوون به من هو مخلوقٌ له، مقهورٌ بقدرته من آدميٍّ وغيره مع تباين الصفات؟! وأنَّ الله لا يمكن أن يُشَبَّهَ شيءٌ من خلقه. (١)

ب- المثل المضروب للحق والباطل:

ضرب الله ﷻ مثلاً للحق والباطل، وهو مشتملٌ على المثلين المائي والناري فيقول تعالى:

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۗ ﴾ [سورة الرعد: ١٧]

أما المثل المائي: فقد مثل الله تعالى الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله؛ كمثل السيل الحادث عن ذلك الماء النازل من السماء، يحمل فوقه زبداً عالياً، وبعد قليل يتطاير الزبد ويتلاشى، وأما الماء فيستفيد منه الناس في الشرب، وسقي المزروعات، والباقي يمتكث في الأرض لينتفع به الناس في العاجل والآجل، فالحق في ثباته ونفعه يشبه الماء المستقر في الأرض، والباطل في تلاشيه واختفائه يشبه الزبد العالي فوق السيل.

وأما المثل الناري: فقد شبه الله تعالى الحق كمثل المعدن إذا أوقد عليه فيخرج منه الخبث والزبد ويذهب هذا ويتلاشى وهكذا الباطل، ويبقى خالص المعدن ثابتاً مستقراً نقياً، وهكذا الحق في بقاءه كالمعدن.

قال مجاهد: فذلك مثل الحق والهدى والعلم والتوحيد، إذا دخل القلب طرد الخبث وهو الشكوك والشبهات والشهوات، فيطرح القلب هذه الشبه وتلاشى كما يطرح السيل الزبد وكما تطرح النار الخبث، وكاستقرار الماء والمعدن الخالص، يستقر التوحيد والإيمان في

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم لمحمد أحمد ملكاوي ص ١٦٤-١٦٦ .

القلب وجذوره بحيث ينفع صاحبه وينتفع به غيره. (١)

ج- أمثلة عجز آلهة المشركين:

ضرب الله مثلاً لعجز آلهة المشركين عن سماع الدعاء وعن إجابته كذلك: فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝١٤﴾. [سورة الرعد: ١٤]

فقد شبه ﷻ المشركين في دعائهم لأصنامهم، وأنها لا تستجيب لهم، بالعطشان الذي جلس على شفير بئر، وبسط كفيه إلى الماء، وأخذ يدعو إلى فيه من بعيد مشيراً إليه بيده ليل غلته، فلا هو نزل إلى البئر فشرب، ولا الماء يرتفع إليه؛ لأنه جماد لا يحس بعطشه، ولا يسمع دعاءه، وهكذا الأوثان لا تحس بدعاء عابديها لها، ولا تستجيب لهم؛ لأنها جمادات منحوتة على هيئة الأحياء.

د - الأمثال المضروبة لوصف حالة المشرك وحالة الموحد:

ضرب الله ﷻ مثل المشرك بالذي يهوي من السماء فتخطفته الطير، أو هوت به الريح في مكان سحيق، قَالَ تَعَالَى: ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾. [سورة الحج: ٣١]،
يحث الله ﷻ عباده على إخلاص التوحيد له وإفراده بالطاعة والعبادة دون الأوثان؛ لأن من يشرك بالله شيئاً من دونه فمثله في بعده عن الهدى وهلاكه، مثل من خر من السماء فتخطفته الطير فهلك، أو هوت به العواصف في مكان بعيد.
فقد شبه التوحيد في علوه وشرفه بالسماء، وشبه تارك التوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين؛ لما يجده من التضييق والشدة، وشبه الشياطين التي تؤزّه وتتقاسم قلبه بالطير التي تتقاسم لحمه، وشبه هواه الذي ألقاه في التهلكة بالريح التي هوت به في مكان سحيق.
فتأمل هذا المثل ومطابقته حال الكافر !!!

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم لمحمد أحمد ملكاوي ص ١٦٩ .

هـ- ضرب الله مثلاً لبيان فساد أعمال المشركين:

ضرب الله ﷻ مثلاً لأعمال المشركين، فقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابُهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مُّظْلِمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكِدْ يَرِنَهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾. [سورة النور: ٣٩-٤٠]

يُبينُ اللهُ ﷻ أنَّ مثل أعمال الَّذِينَ كَفَرُوا مثل سَرَابٍ بَارِضٍ مُنْبَسِطَةٍ يُرَى وَسَطَ النَّهَارِ، وَحِينَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ، فَيَطْنُهُ الْعَطْشَانُ مَاءً، فَإِذَا أَتَاهُ مَلْتَمَسًا الشُّرْبَ لِإِزَالَةِ عَطْشِهِ لَمْ يَجِدِ السَّرَابَ شَيْئًا، فَكَذَلِكَ الْكَافِرُونَ فِي غُرُورٍ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمَلُوهَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهَا تَنْجِيهِمْ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْهَلَاكِ؛ كَمَا حَسِبَ الْعَطْشَانُ السَّرَابَ مَاءً، فَإِذَا صَارَ الْكَافِرُ إِلَى اللَّهِ وَاحْتِاجَ لِعَمَلِهِ لَمْ يَنْفَعِهِ، جَازَاهُ اللَّهُ بِهِ الْجَزَاءَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ.

وقوله تَعَالَى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مُّظْلِمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكِدْ يَرِنَهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾. [سورة النور: ٤٠] هذا مثلٌ آخَرَ لأعمال الكفار، إِلَّا أَنَّ الْمَثَلَ الْأَوَّلَ فِي الْخُدَاعِ الْكَافِرِ بِعَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا وَغُرُورِهِ بِهِ، وَهَذَا الْمَثَلُ لِأَعْمَالِ الْكَافِرِ فِي أَنَّهَا عُمِلَتْ عَلَى خَطَأٍ وَفَسَادٍ، فَهِيَ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ عَمِيقٍ جَدًّا كَثِيرِ الْمَاءِ، وَفَوْقَ هَذَا الْبَحْرِ الْعَمِيقِ مَوْجٌ عَالٍ مُخِيفٍ، وَفَوْقَ هَذَا الْمَوْجِ مَوْجٌ آخَرَ، وَفَوْقَهُمَا سَحَابٌ مُتْرَاكِمٌ، فَاجْتَمَعَتْ عِدَّةُ ظُلُمَاتٍ، وَهَكَذَا عَمَلُ الْكَافِرِ ظُلُمَاتٌ فِي ظُلُمَاتٍ. (١)

٧- تفسير القرآن للتوحيد بالأدلة العقلية:

خلق الله الإنسان وركب فيه العقل، وأمره أن يستخدم هذا العقل في طاعة الله تَعَالَى، وَأَنَّ يُفَكِّرَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ: خَلَقَ الْإِنْسَانَ حَيْثُ خَاطَبَ اللَّهُ فِيهِ الْعَقْلَ فَقَالَ

(١) عَقِيدَةُ التَّوْحِيدِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِمُحَمَّدٍ أَحْمَدَ مَلِكَاوِي ص ١٦٢-١٨٨.

تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا

يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾. [سورة الطور: ٣٥-٣٦]؛ لأنَّ البشر لم يخرجوا عن أحد احتمالاتٍ ثلاثة:

- ١- إمَّا أن يكونوا مخلوقين من غير خالق.
 - ٢- وإمَّا أن يكونوا خلقوا السموات والأرض، وخلقوا أنفسهم.
 - ٣- وإمَّا أن يكونوا مخلوقين لخالقٍ واحدٍ.
- والاحتمالين الأوَّل والثَّاني باطلان أشدَّ البطلان؛ إذ يستحيل أن يكون الخلق جاء من غير خالق؛ لاستحالة صدور أثرٍ بلا مُؤثِّر، وفعلٍ بلا فاعل، وخلقٍ بلا خالق؛ كما يستحيل أن يكونوا هم الَّذين خلقوا أنفسهم؛ إذ يلزم منه اجتماع الضدين في الوقت نفسه: الوجود والعدم، فيكونوا خالقين مخلوقين.

وعليه فلم يبق إلاَّ الاحتمال الثَّالث: وهو كونهم مخلوقين لخالقٍ واحد هو الله رب العالمين،

فيجب إذاً إفراده بالألوهية، وإخلاص العبادَةِ له؛ ولذلك يقول في نهاية سورة الطور: ﴿أَمْ

هُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤٣). [سورة الطور: ٤٣]، فهذا إنكارٌ شديدٌ على

المشركين في عبادتهم الأصنام من دون الله وهو خالقهم، بعد أن بيَّن لهم بطلان كلِّ احتمال

يرد على الخاطر، ولم يبق إلاَّ أنَّهم مخلوقون لخالقٍ واحدٍ متفردٍ بالألوهية، لذلك جبير بن

مطعم لما قدم على النَّبيِّ ﷺ في فداء أسرى بدر، وكان إذ ذاك مشركاً، فسمع النَّبيَّ ﷺ يقرأ

في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآيات كاد قلبه أن يطير - كما يروي عن نفسه - فكان

سماعه لهذه الآيات من جملة ما حمَّله على الدخول في الإسلام، ونبذ الشرك والأوثان. (١)

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم لمحمد أحمد ملكاوي ص ٢٥٨ - ٣٠٢.

المبحث الثاني
منهج الاستدلال على العقيدة عند السلف
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: تعريف منهج الاستدلال.
المطلب الثاني: تعريف السلف.
المطلب الثالث: تحديد زمن السلف.
المطلب الرابع: منهج الاستدلال عند السلف رضوان الله عليهم.

المطلب الأول: تعريف منهج الاستدلال.

منهج الاستدلال هو: الأصول والقواعد، والطريقة التي يتم بها تلقي الدين وتقرير العقيدة، واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها.

المطلب الثاني: تعريف السلف، وتحديد زمن فترتهم:

تَعْرِيفُ السَّلَفِ:

السَّلَفُ فِي اللُّغَةِ: هم القومُ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي السَّيْرِ، ولزَيْدٍ سَلَفٌ كَرِيمٌ، أي آباء متقدمون، وجمعه أسلاف. (١)

واصطلاحاً: هم الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وتابعوهم بإحسان إلى يوم الدين، ممن أجمعت الأمة على عدالتهم وتزكيتهم، ولم يرموا ببدعةٍ مُكْفَرَةٍ أو مُفْسَقَةٍ.

وهم بهذا المعنى تعبير عن شخصية اعتبارية، ومنهجٍ مُتَّبَعٍ، الأصل فيه الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وتابعوهم، وهي العُصُورُ الْمُفَضَّلَةُ، قَالَ اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَنْهُمْ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾. [سورة

التوبة: ١٠٠]، وبذلك يُعَلَمُ أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ يشمل جانبين: جانب القدوة، والمنهج المتبع، فالقدوة: هم أصحاب العُصُورِ الثَّلَاثَةِ.

والمنهج: هو الطريقة المُتَّبَعَةُ فِي هَذِهِ العُصُورِ، فِي الفَهْمِ العَقْدِيِّ، وَالاسْتِدْلَالِ، وَالتَّقْرِيرِ، وَالعِلْمِ، وَالإِيمَانِ.

وبهذا يُعَلَمُ أَنَّ الوصفَ بِالسَّلَفِيَّةِ مَدْحٌ وَثَنَاءٌ عَلَى كُلِّ مَنْ اتَّخَذَهَا قَدْوَةً وَمَنْهَجًا. (٢)
 إِنَّ الَّذِي لَمْ يَخْتَلَفْ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا هُوَ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي ارْتَضَاهُ لَنَا رَبُّنَا هُوَ طَرِيقُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ ضَمَّنَ الْإِسْتِقَامَةَ لِمَتَّبِعِ الْكِتَابَ فَقَالَ عَلَى لِسَانِ مُؤْمِنِي الْجَنَّةِ: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

(١) لسان العرب ١٥٨/٩، التعاريف ٤١٢/١ .

(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم بن محمد البريكاني ص ١٤ .

وَالِى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ . [سورة الأحقاف: ٣٠]؛ كما ضمنها لمتابع الرسول ﷺ الذي قَالَ له ربه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ . [سورة الشورى: ٥٢]، لكن الذي جعل الفرق الإسلامية تنحرف عن الصراط هو إغفالها ركناً ثالثاً جاء التنويه به في الوحين جميعاً، ألا وهو فهم السلف الصالح للكتاب والسنة.

وقد اشتملت سورة الفاتحة على هذه الأركان الثلاثة في أكمل بيان: فقله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ . اشتمل على ركني الكتاب والسنة، وقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ . اشتمل على فهم السلف لهذا الصراط، مع أنه لا يشك أحدٌ في أن من التزم بالكتاب والسنة فقد اهتدى إلى الصراط المستقيم، إلا أنه لما كان فهم الناس للكتاب والسنة منه الصحيح ومنه السقيم، اقتضى الأمر ركناً ثالثاً لرفع الخلاف، ألا وهو تقييد فهم الأخلاف بفهم الأسلاف. (١)

وهذا يدلُّ على أن أفضل من أنعم الله عليه بالعلم والعمل هم أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنهم شهدوا التنزيل، وشاهدوا من هدى الرسول الكريم ﷺ ما فهموا به التأويل السليم؛ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((من كان منكم مستنّاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)). (٢)(٣)

(١) الاعتصام للشاطبي ٢٥٢/٢ .

(٢) أخرجه بنحوه ابن عبد البر في جامع البيان ٩٧/٢ . ورواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر ٣٠٥/١ .

(٣) ست درر من أصول أهل الأثر ص ٦٥-٦٩ .

المطلب الثالث: تحديد زمن السلف:

وقد جاء تحديد زمن السلف الذين لا تجوز مخالفتهم بإحداث فهم لم يفهموه، في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)). (١)

ولهذا الأصل أدلة منها: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١١٥] والشاهد هنا في ضم مجانبة سبيل المؤمنين إلى مشاققة الرسول لاستحقاق هذا الوعيد الشديد، مع أن مشاققة الرسول صلى الله عليه وسلم وحده كفيلاً بذلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٣٢] (٢)

(١) متفق عليه .

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٤/١٩ .

المطلب الرابع: منهج الاستدلال عند السلف رضوان الله عليهم:

يقوم منهج الاستدلال عند أهل السنة على القواعد التالية:

- ١- حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الكتاب والسنة) في أمور العقيدة والشريعة.
- ٢- مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمحمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، والعموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.
- ٣- يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسنة، ويردون ما يخالف ذلك.
- ٤- يعتمدون تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم باللغة ومقاصد الشرع.
- ٥- ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كلفيته، (كبعض نصوص الغيبات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله سبحانه وتعالى ولا يخوضون فيه.
- ٦- يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً.
- ٧- ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشريعة وبين القدر والشرع، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها.
- ٨- يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدلتهم لحفظ الدين.

المبحث الثالث
منهج الاستدلال عند أهل الأهواء
والبدع

الطبحث الثالث: منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع:

منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع يمكن أن نذكره على وجه الإجمال في الأسس الآتية:

١- عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي، حتى في العقائد، (وهي توقيفية)، فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام، والفلسفات، ويسموها (العقليات)، كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة، وآراء الرجال في الدين، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك.

٢- لا يراعون قواعد الاستدلال، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾. [سورة آل عمران: ٧] فيتبعون المتشابه، ويضربون الأدلة

بعضها ببعض، ويزعمون التعارض بينها، ويستدلون بالمحمل ولا يردونه إلى المبين، ولا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا النفي والإثبات، ولا العموم والخصوص.

٣- يضعون لأنفسهم أصولاً يتدعونها بأهوائهم، وينتزعون لها أدلة من القرآن والسنة، على غير المنهج الشرعي في الاستدلال، وما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع، يردونه، أو يؤولونه.

٤- يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم، فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض، ولا يعتمدون معاني اللغة، وبعضهم قد يستدل ببعض وجوه اللغة بمعزل عن فهم السلف، وعن الدلالات الأخرى.

٥- لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف الصالح، ولا فهمهم للنصوص، ولا آثارهم وعملهم وهدْيهم، بل يجانبونهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

٦- يخوضون فيما نهي الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات ونحوها

ويعتمدون التأويل في العقيدة، ويقولون على الله بغير علم ﴿ابْتِغَاءَ الْقِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا

يَذَكِّرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾. [سورة آل عمران: ٧]

- ٧- يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر).
- ٨- يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل.
- ٩- يتوهمون التعارض بين العقل والشرع، وبين الحقيقة والشرعية وبين القدر والشرع، وبين أصولهم والشرع ثم يحكمون أهواءهم وأصولهم وعقلياتهم الفاسدة ويقدمونها على الشرع.
- ١٠- ليس لهم عناية بالإسناد؛ لتعويلهم على الأهواء وآراء الرجال، والوضع وما لا أصل له، ولذلك يعتمدون الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وما لا أصل له، وبالمقابل قد يردون الأحاديث الصحيحة إذا خالفت أهواءهم كما سبق بيانه.

المبحث الرابع

قواعد السلف في الرد على أهل البدع

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف البدع.

المطلب الثاني: أقسام البدع.

المطلب الثالث: النهي عن البدع في الدين وذهم المبتدعين.



المطلب الأول: تعريفُ البدع:

البدع لغةً: جمعُ بدعة، وهي في اللغة الأمر المستحدث، كما قال رَبِّهِ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأحقاف: ٩] أي: لم يأتِ بجديدٍ لم يأتوا به. **وشرهاً:** هو الأمر المستحدث في الدين.

المطلب الثاني: أقسام البدع:

وهي على قسمين:

القسم الأول: بدعةٌ حقيقيةٌ: وهي ما استحدثت في الدين أصلاً ووصفاً، وذلك كالطواف حول القبور، وإسراجها، ونحو ذلك.

القسم الثاني: بدعةٌ إضافيةٌ: وهي ما استحدثت في الدين بوصفه دون أصله، وذلك كالذكر الجماعي بصوت واحد، فإن أصل مشروعية الذكر جاء الشرع بها ولكنّه على هذه الصفة لم يردّ شرعاً. (١)

(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور/إبراهيم بن محمد البريكان ص ٦٣ .

المطلب الثالث: النهي عن البدع في الدين وذم المبتدعين:

وَالْبِدْعُ بِنُوعِهَا مَذْمُومَةٌ شَرْعًا، كَمَا قَالَ ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)). وقوله ﷺ: ((وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))، وقد حذر ﷺ من البدع لخطرها على الدين، كما قال ﷺ: ((وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)).

وأوضح أن المبتدع مغير للدين، محروم من الشرب من حوضه كما قال ﷺ: ((أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلِيُخْتَلَجَنَّ رِجَالُ دُونِي فَأَقُولُ: رَبِّي أَصْحَابِي. فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُمْ بَعْدَكَ)).

وبناءً على ذلك حذر السلف من البدع والمبتدعين، واتخذوا في ذلك عِدَّةً سُبُلٍ نذكر منها:

١- **النهي عن سماع البدع**، فقد حدث عبد الرزاق عن معمر قال: "كان طاوس جالساً وعنده ابنه، فجاء رجلٌ من المعتزلة فتكلم في شيء فأدخل طاوس أصابعه في أذنيه، وقال: يا بُنَيَّ، أدخل أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئاً، فإن القلب ضعيف، ثم قال: أي بُنَيَّ، اسدد فما زال يقول اسدد حتى قام الآخر أي المعتزلي".

٢- **هجر أهل البدع وعدم مجالستهم**، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ((إياكم وما يحدث الناس من البدع فإن الدين لا يذهب من القلوب بمره، ولكن الشيطان يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام، والحلال والحرام، ويتكلمون في ربهم ورسوله، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب، قيل: يا أبا عبد الرحمن فإلى أين؟ قال: إلى لا أين، قال: يهرب بقلبه ودينه لا يجالس أحداً من أهل البدع)).

وروى عيسى بن علي الضبي قال: كان رجلٌ معنا يختلف إلى إبراهيم النخعي، فبلغ إبراهيم أنه قد دخل في الإرجاء، فقال له إبراهيم: "إذا قُمتَ من عندنا فلا تُعد".

٣- **تعريف الناس بحال المبتدع والتنفير منه**، فقد روى محمد بن داود الحدائي قال: قلت لسفيان بن عيينة: "إن هذا يتكلم في القدر - يعني إبراهيم ابن أبي يحيى - فقال

سفيان: عَرَفُوا النَّاسَ أَمْرَهُ، وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ".

٤- **البعد عن مكالمة أهل البدع**، وهو نوع من الهجر وهو الهجر اللساني، فقد روى سلام بن أبي مطيع قال: قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ لِأَيُّوبَ: أَكَلَمُكَ بِكَلِمَةٍ؟ قَالَ: لَا وَلَا نَصَفَ كَلِمَةٍ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: "لَا تَجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تَجَادِلُوهُمْ وَلَا تَسْمَعُوا لَهُمْ".

٥- **بيان خطر البدع على الدين**، فقد قَالَ سَفِيانُ الثَّوْرِيُّ: الْبِدْعُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فَالْمَعْصِيَةُ يُثَابُ مِنْهَا - أَيْ يُرْجَعُ - وَالْبِدْعَةُ لَا يُثَابُ مِنْهَا. وَقَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ: "مَا أَزْدَادُ صَاحِبَ بَدْعَةٍ اجْتِهَادًا إِلَّا أَزْدَادَ مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ بَعْدًا".

وَقَالَ سَفِيانُ الثَّوْرِيُّ: "مَنْ سَمِعَ مِنْ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَنْفَعِهِ اللَّهُ بِمَا سَمِعَهُ، وَمَنْ صَالَحَهُ فَقَدْ نَقَضَ الْإِسْلَامَ عَرُوةَ عَرُوةً".

٦- **ترك الصلاة على المبتدعين**، قَالَ مَوْمِلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: "مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رِوَادٍ وَكَانَتْ فِي جَنَازَتِهِ حَتَّى وَضِعَ عِنْدَ بَابِ الصَّفَا، فَصَفَّ النَّاسُ وَجَاءَ الثَّوْرِيُّ - أَيْ سَفِيانُ الثَّوْرِيُّ - فَقَالَ النَّاسُ جَاءَ الثَّوْرِيُّ، فَجَاءَ حَتَّى فَرَّقَ الصَّفُوفَ وَالنَّاسَ يَنْظُرُونَ الْجَنَازَةَ وَلَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْمِي بِالْإِرْجَاءِ".

٧- **استباحة غيبة المبتدع**، فعن الأعمش عن إبراهيم قال: "وليس لصاحب بدعة غيبة".

وَقَالَ الْحَسَنُ: "لَيْسَ لِأَهْلِ الْبِدْعِ غَيْبَةٌ"، وَقَالَ كَثِيرُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ: يُقَالُ: "أَهْلُ الْأَهْوَاءِ لَا حَرَمَةَ لَهُمْ".

وَقَالَ الْفَضِيلُ: "مَنْ دَخَلَ عَلَى صَاحِبِ بَدْعَةٍ فَلَيْسَ لَهُ حَرَمَةٌ". (١)

هذا وليس في البدع في الشرع ما يمدح، فإنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ نَصَّ عَلَى أَنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَلَمْ يَسْتَنَّ شَيْئًا مِنَ الْبِدْعِ.

وأما قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في التراويح في رمضان: ((نعمت البدعة هذه)). فمعناه من وجهين:

(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور/إبراهيم بن محمد البريكاني ص ٦٣- ٦٥.

الأول: أن ذلك سيق في مواجهة المنكر لها (١)؛ لأنها كانت موجودة في عصر النبي ﷺ، وقد فعلها ثم تركها خشية الفرض على الأمة، وقد زال، فهو كقولك لمن عارضك في أمر: إن كان هذا منكراً فأنا صاحب منكر، تقصد الإخبار عن تمسكك به.

الثاني: أنه جاز إطلاق هذا اللفظ على التراويح لكونها تركت ثم فعلت، فكانت مستجدة بالنسبة؛ لكونها لم تفعل جماعة بعد موت الرسول ﷺ، فيكون قد جرى على معنى البدعة لغة لا شرعاً أيضاً، والمذموم هو البدعة في الشرع. ومما تقدم أيضاً يتبين بطلان تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، أو تقسيمها إلى مباحة ومحرمة وواجبة ومكروهة ومسنونة أو مستحبة.

والبدع خطرهما يكمن في تغيير وجه الدين، وفتح الباب للبدع مؤذن بخطر تحريف الشريعة وتبديلها. الأمر الذي وقع فيه اليهود والنصارى حتى حرفوا دينهم وغيروه. (٢)

كما أن المبتدع مستدرك على صاحب الشرع، مدح عدم كماله، والله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣] وهي شرع ما لم يأذن به الله، الأمر الذي أنكره الله على المشركين، كما قال ﷺ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الشورى: ٢١]

ولازم بدعة المبتدع تجويز التشريع لغير الله ورسوله، الأمر الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٤] وفي آية: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٥]. وإن كنا نقول: إن البدع ليست على درجة واحدة؟ منها ما هو كفر، ومنها ما هو

(١) أي للاجتماع على صلاة التراويح، فكان قائلاً قال: هذه بدعة فقال له عمر: نعمت البدعة هذه، أي إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة هي، ولم يرد تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وأخرى سيئة؛ كما فهم ذلك من لا فهم له.

(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ٦٣-٦٦.

شرك، ومنها ما هو محرم، وإن كانت تعتبر أكبر من كبائر الذنوب؟.

وربنا ﷻ يقول: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ

عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾. [سورة الجاثية: ٢٣] فجعل

اتباع مشتبهات النفس والميل إلى رغبات الطبع إلهاً من دون الله يعبد، والمبتدع متبع للهوى وهو نوع من شرك الطاعة حيث أطاع هواه وما أمره الله من ترك الهوى وأتباع

الشرع؛ كما قال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمُ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمُ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾. [سورة النور: ٦٣]

ولأن الابتداع في الدين يزيد الفرقة بين الأمة، فهو أصل السبل المخالفة للشرع، والتي

فنانا الله عن اتباعها؛ كما قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾. [سورة

الأنعام: ١٥٣] ولأن كثرة البدع طريق لخفاء الحق وعدم ظهوره، وذلك لكثرة الشبهات التي تُحيط بالقلوب بسبب البدع المخالفة لما أنزل الله.

وهذه الأمور تُؤدِّي بالتالي لضعف الأمة ولظلم بعضها بعضاً، وذلك بسبب التنازع الذي

يزرع الأحقاد والبغضاء بين أفراد الأمة وطوائفها، ومن ثمَّ ذهاب قوتها، كما قال ﷻ:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

﴿٤٦﴾. [سورة الأنفال: ٤٦] (١)

(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ٦٣-٦٦ .

اطبحت الخامس
دور علماء السلف في التصدي للبدع

الطبحث الخامس: دور علماء السلف في التصدي للبدع:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَكْمَلَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ دِينَهَا وَأَتَمَّ عَلَيْهَا نِعْمَتَهُ، وَلَمْ يَتَوَفَّ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ إِلَّا بَعْدَمَا بَلَغَ الْبَلَاحَ الْمَبِينِ، وَبَيَّنَ لِلْأُمَّةِ كُلِّ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَهَا مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ، وَأَوْضَحَ ﷺ أَنَّ كُلَّ مَا يَحْدِثُهُ النَّاسُ بَعْدَهُ، وَيُنْسِبُونَهُ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَقْوَالٍ، أَوْ أَعْمَالٍ، فَكُلُّهُ بَدْعَةٌ مَرْدُودَةٌ عَلَى مَنْ أَحْدَثَهَا، وَلَوْ حَسَنَ قَصْدُهُ، وَقَدْ عَرَفَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَمْرَ.

وهكذا علماء الإسلام بعدهم، فأنكروا البدع، وحذروا منها؛ كما ذكر ذلك كلُّ من صَنَّفَ فِي تَعْظِيمِ السُّنَّةِ وَإِنْكَارِ الْبِدْعَةِ؛ كَابْنِ وَضَّاحٍ، وَالطَّرطُوشِيِّ، وَأَبِي شَامَةَ، وَغَيْرِهِمْ. (١) ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ عَصْرٍِ مِنَ الْأَعْصَارِ إِمَامًا مِنْ سَلَفٍ، أَوْ عَالِمًا مِنْ خَلْفٍ، قَائِمًا لِلَّهِ بِحَقِّهِ، وَنَاصِحًا لِدِينِهِ فِيهَا، يَصْرِفُ هِمَّتَهُ إِلَى جَمْعِ اعْتِقَادِ أَهْلِ الْحَدِيثِ عَلَى سُنَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَثَارِ صَحَابَتِهِ، وَيَجْتَهِدُ فِي تَصْنِيفِهِ، وَيَتَعَبُ نَفْسَهُ فِي تَهْذِيبِهِ، رَغْبَةً مِنْهُ فِي إِحْيَاءِ سُنَّتِهِ، وَتَجْدِيدِ شَرِيعَتِهِ، وَتَطْرِيَةِ ذِكْرِهِمَا عَلَى إِسْمَاعِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِمَا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ، أَوْ لَزَجِرِ غَالٍ فِي بَدْعَتِهِ، أَوْ مُسْتَعْرِقٍ يَدْعُو إِلَى ضَلَالَتِهِ، أَوْ مَفْتَنٍ بِجَهَالَتِهِ لِقَلَّةِ بَصِيرَتِهِ.

ولذلك أمر النبي ﷺ أمته إذا دَبَّتْ إِلَيْهِمُ الْفُرْقَةُ بِالِاسْتِمْسَاكِ بِسُنَّتِهِ فَقَالَ: ((... وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ...)). (٢)

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كَفَيْتُمْ)).
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَلَامًا مَعْنَاهُ: " قَفَّ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَيَبْصَرٍ نَاقِدٍ كَفُوا، وَلَهُمْ كَانُوا عَلَى كَشْفِهَا أَقْوَى، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَى، وَإِنَّهُمْ لَهُمُ السَّابِقُونَ، فَلَنْ كَانَ الْمَهْدِي مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَنْ قَلْتُمْ حَدَّثَ حَدَّثٌ بَعْدَهُمْ فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ، وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَكْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مَقْصَرٌ، وَلَا فَوْقَهُمْ مُحْسَرٌ، لَقَدْ قَصَرَ دُونَهُمْ أَنْاسٌ فَجَفُوا،

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لفضيلة الشيخ الدكتور/صالح بن فوزان الفوزان ص ٢٠٣-٣٠٣ .

(٢) ست درر من أصول أهل الأثر ص ٥٦ .

وطمح آخرون عنهم فغلوا، وإِنَّهم من ذلك لعلی هدی مستقیم".
 وَقَالَ الأوزاعي رحمه الله: "عليك بآثار السلف، وإن رفضك النَّاسُ، وإيَّاك وآراء الرجال،
 وإن زخرفوه لك بالقول". (١)

قال ابن بطة رحمه الله في بيان سبب اجتماع كلمة السلف على عقيدة واحدة: "فلم يزل
 الصِّدْرُ الأوَّلُ على هذا جميعاً، على ألفة القلوب واتفاق المذاهب: كِتَابُ الله عصمتهم، وسُنَّةُ
 المصطفى إمامهم، لا يستعملون الآراء، ولا يفرعون إلى الأهواء، فلم يزل النَّاسُ على ذلك
 والقلوب بعصمة مولاهم محروسة، والنفوس عن أهوائها بعنايته محبوسة". وصدق رحمه الله؛
 فَإِنَّ دين الله واحد لا يختلف، قَالَ ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
 لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾. [سورة النساء: ٨٢]

وكان ابن عون يقول عند الموت: "السُّنَّةُ السُّنَّةُ وَإِيَّاكُمْ وَالبِدْعَ حَتَّى مات".
 وَقَالَ أبو العالية: "من مات على السُّنَّةِ مستوراً فهو صديقٌ، والاعتصام بالسُّنَّةِ نجاة".
 وهذا الطَّرِيقُ الذي ندعو النَّاسَ إليه هو أوضح الطرق، وأبينها، وأغناها، وأكملها، فعن
 العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا
 كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ بَعْدِي عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ)). (٢)

وإذا حاول المرء تكميله أو تزيينه. مما لم يفعل رَسُولُ اللهِ ﷺ ولا أصحابه فإنما يعرج بهم
 في طرقات، بل في أودية المهالك، وهذا الذي سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)).
 ولذلك اشتدَّ نَكِيرُ السَّلَفِ الصَّالِحِ على من يزيد في الدِّينِ، أو يُوْغِلُ فيه برأيه. (٣)
 وذلك لِأَنَّ الدِّينَ مبناه على الاتِّبَاعِ لا الاختراع، والرأي في الغالب مذموم؛ لِأَنَّ كثيراً من
 أمور الدِّينِ لا يهتدي إليهما العقل بمفرده، لا سِيَّما وَأَنَّ العقول تتفاوت في إدراكها، وفي
 المؤثرات فيها. (٤)

وهناك آثارٌ كثيرةٌ وردت عن الصَّحَابَةِ رضوان الله عليهم في بيان خطر البِدْعَةِ، وأهمية

(١) المناظرة في القرآن ٤٥/١ .

(٢) رواه الإمام أحمد ٤/١٢٦، والحاكم ١/٩٦، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السُّنَّةِ (١/٢٧) .

(٣) ست درر من أصول أهل الأثر ص ٥٦ .

(٤) انظر تفصيل ذلك عند ابن القيم في إعلام الموقعين (١/٦٣) .

المحافظة على السنّة مما يدل على سعة علم الصحابة، وإليك بعض تلك الآثار:

١- عن أم الدرداء قالت: ((دخل عليّ أبو الدرداء مُغضباً، فقلتُ له: مالك؟)) فقال: ((والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد إلاّ أنّهم يصلون جميعاً)). (١)

٢- عن عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: ((كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر - والحمد لله - إلاّ خيراً. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيتُ في المسجد قوماً حلّقوا جلوساً ينتظرون الصلاة، في كلّ حلقة رجل، وفي أيديهم حصاً، فيقول: كَبُرُوا مائة، فيكبرون مائة. فيقول: هلّلوا مائة، فيهللون مائة. ويقول: سَبَّحُوا مائة، فيسبحون مائة. قال: فماذا قلتَ لهم؟ قال: ما قلتُ لهم شيئاً انتظر رأيك، أو: انتظر أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنتَ لهم أن لا يضيع من حسناتهم. ثمّ مضى ومضينا معه حتى أتى حلقةً من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسييح. قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبّل، وآنيتَه لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلي ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلاّ الخير. قال: وكم من مرید للخير لن يصيبه. إنَّ رسولَ الله ﷺ حدّثنا: أن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأمُّ الله، ما أدري، لعلّ أكثرهم منكم. ثمّ تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامّة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج. (٢)

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الدارمي، باب: كراهية أخذ الرأي، ٧٢/١، حديث رقم: ٢٠٨ .

٣- وعن عثمان بن حاضر قَالَ: دخلت على ابن عباس فقلت: أوصني. فَقَالَ: ((نعم، عليك بتقوى الله، والاستقامة والأثر، اتَّبِعْ وَلَا تَبْدَعْ)). (١)
فتأمل هذا فإنه جمع له أمرين هما: تقوى الله، وهي هنا بمعنى الإخلاص؛ لأنها قرنت بالاتباع.

والاتباع، الذي هو معنى الصراط المستقيم. (٢)
ثم حذره مما يضاد ذلك، ألا وهو البدعة، وهكذا كان عامة كلام السلف جامعاً مانعاً على وجازته.

وقد كان السلف الصالح يشتدُّون على من يبتغي أقوال الرجال ليزاحم بها أحكام رسول الله ﷺ، مهما سمت مرتبة هؤلاء الرجال الأفاضل. ولا ريب أن التأدب مع أهل العلم، ومحبتهم، وتقديمهم على من بعدهم، واتهام المرء رأيه مع آرائهم، أمرٌ في غاية الأهمية، إلا أن هذا شيءٌ، وتقديم النص من الوحيين بعد اتضاحه شيءٌ آخر. (٣)

٤- عن أبي الزبير قَالَ: كنا نطوف مع طاووس فمررنا بمعبد الجهني، قَالَ: فقيل لطاووس: هذا معبد الذي يقول بالقدر. قَالَ: فَقَالَ له طاووس: أنت المفترى على الله بما لا تعلم، قَالَ: فَقَالَ: يُكذب علي. قَالَ: فدخلنا على ابن عباس، فَقَالَ له طاووس: يا أبا عباس هؤلاء الذين يقولون في القدر. فَقَالَ: ((أروني بعضهم، أدخل يدي في عينيه فاقلعها ولا نصونه)).

وكذلك كان موقف التابعين والأئمة المهديين من البدع وأهلها، من ذلك ما يلي:

١- عن عبد الله بن سالم الأشعري من أهل حمص قَالَ: حدثني إبراهيم بن أبي عبلة قَالَ: كُنتُ عند عبادة بن نسي فأتاه آت فَقَالَ: إنَّ أمير المؤمنين يعني هشاماً قد قطع يد غيلان ورجليه وصلبه، قَالَ: ما تقول؟! قَالَ قد فعل، قَالَ عبادة: أصاب والله فيه القضية والسنة، ولأكتبن إليه فلأحسنن له.

(١) رواه الدارمي ٥٣/١، والخطيب في الفقيه والمتفقه ١٧٣/١ من طريقين تقوي إحداهما الأخرى .

(٢) رواه الدارمي ٦٩/١، وصححه الألباني في تعليقه على كتاب العلم لأبي خيثمة .

(٣) ست درر من أصول أهل الأثر ص ٥٨-٥٩ .

٢- قَالَ عبد الله بن أحمد عن أبيه أحمد بن حنبل أنه قَالَ: كان ثور بن يزيد الكلاعي كان يرى القدر، وكان من أهل حمص، أخرجه ونفوه؛ لأنه كان يرى القدر. قَالَ: وبلغني أنه أتى المدينة، فقبل لملك: قد قدم ثور، فقال: لا تأتوه، فقال: لا يجتمع عند رجلٍ مُبتدِعٍ في مسجدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ولا يزال علماء المسلمين - والحمد لله - ينكرون البِدْعَ ويرُدُّون على المبتدعة من خلال الصُّحُفِ والمجلَّات، والإذاعات، وخطب الجمع، والتَّدَوَات، والمحاضرات، مما له كبير الأثر في توعية المسلمين، والقضاء على البِدْع، وقمَع المبتدعين. (١)

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٣٠٣ .

الفصل الثالث: أركان الإيمان.

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: الإيمان بالله تعالى.

المبحث الثاني: الإيمان بالملائكة.

المبحث الثالث: الإيمان بالكتب.

المبحث الرابع: الإيمان بالرسل.

المبحث الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث السادس: الإيمان بالقدر.

المبحث الأول الإيمان بالله تعالى وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى.

المطلب الثاني: الإيمان بربوبية الله تعالى.

المطلب الثالث: الإيمان بألوهية الله تعالى، وتفردَه بالعبادة.

المطلب الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته تعالى.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالله تعالى.

أركان الإيمان:

جاءت نصوص الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة ببيان أركان الإيمان، وهي ستة أركان:

- ١- الإيمان بالله.
- ٢- الإيمان بالملائكة.
- ٣- الإيمان بالكتب.
- ٤- الإيمان بالرسول.
- ٥- الإيمان باليوم الآخر.
- ٦- الإيمان بالقدر خيره وشره.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾. [سورة البقرة: ٢٨٥-٢٨٦]

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾. [سورة البقرة: ١٧٧]

فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَأَلِكْتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. [سورة النساء: ١٣٦] وقال ﷺ، في الحديث المتفق على صحته، حديث جبرائيل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان، فقال: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ

الآخر ، وتؤمن بالقدّر خيرِه وشرِّه)). فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

الإيمان بالله تعالى: (١) يتضمّن الإيمان بالله تعالى أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دلّ على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

١- أما دلالة الفطرة على وجوده سبحانه: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير، أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طراً على قلبه ما يصرفه عنها؛ لقول النبي ﷺ: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)). (٢)

٢- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى؛ فلأن هذه المخلوقات: سابقها ولاحقها، لا بد لها من خالق أو جدها، إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ ولا يمكن أن توجد صدفة. لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟!

ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتألف، و الارتباط المتلحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟! وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة؛ تعيّن أن يكون لها موحد هو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي، و البرهان القطعي، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ

غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾. [سورة الطور: ٣٥-٣٦]؛ يعني: أنهم لم يُخلَقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلَقوا أنفسهم؛

(١) ينظر: نبذة في العقيدة، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة..، حديث رقم: (٢٦٥٨).

فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك و تعالی، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَّبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾. [سورة الطور: ٣٥-٣٧] وكان جبير يومئذ مشركاً قال: (كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي). (١)

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك: فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلئ بالفرش والأسرة، وزُين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وُجد هكذا صدفة بدون مُوجد؛ لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع: بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وُجد صدفة بدون مُوجد؟!!

٣- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كُلُّها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام العادلة المتضمنة لمصالح الخلق؛ دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها؛ دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤- وأما أدلة الحس على وجود الله؛ فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنْ أَلْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾. [سورة الأنبياء: ٧٦] وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ أَلْمَلِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾. [سورة الأنفال: ٩]

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إنَّ أعرابياً دخل يوم الجمعة - والنبي

(١) أخرجه البخاري مرفقاً، في كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الطور، حديث رقم: (٤٥٧٣).

ﷺ يخطبُ - فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا؛ فرفع يديه ودعا؛ فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يتحادر على لحيته. - وفي الجمعة الثانية، قام ذلك الأعراي، أو غيره فقال: يا رسول الله - تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا؛ فرفع يديه، وقال: ((اللهم حوّلنا ولا عَلَيْنَا، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت)). (١)

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا؛ لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى، وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى؛ تأييداً لرسوله، ونصراً لهم.

مثال ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه؛ فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴾. [سورة الشعراء: ٦٣]

ومثال ثان: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّلِينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾. [سورة آل عمران: ٤٩]، وقال: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَابٌ مِّمَّنْ ﴾. [سورة المائدة: ١١٠]

(١) أخرجه البخاري، في كتاب الجمعة، باب: الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، حديث رقم: (٨٩١).

ومثال ثالث: لمحمد ﷺ حين طلبت منه قریش آية، فأشار إلى القمر؛ فانفلق فرقتين، فراه

الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾. [سورة القمر: ١-٢]

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى؛ تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدلُّ دلالة قطعية على وجوده تعالى.

المطلب الثاني: الإيمان بربوبيته أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر

إلا له، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾. [سورة الأعراف: ٥٤] وقال:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾. [سورة فاطر: ١٣]

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما

يقول، كما حصل من فرعون، حين قال لقومه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾. [سورة

النازعات: ٢٤] وقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ۗ ﴿٣٨﴾.

[سورة القصص: ٣٨]، لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا

وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۗ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾. [سورة

النمل: ١٤]. وقال موسى لفرعون، فيما حكى الله عنه: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرَعَوْتُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾. [سورة

الإسراء: ١٠٢] ولهذا كان المشركون يقرؤون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية،

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [سورة المؤمنون: ٨٤-٨٩] وقال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾. [سورة الزخرف: ٩]

وقال سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾. [سورة الزخرف: ٨٧] وأمر الله سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد، حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات، وأحكام المعاملات، حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات، أو حاكماً في المعاملات؛ فقد أشرك به، ولم يحقق الإيمان.

المطلب الثالث: الإيمان بألوهيته أي: بأنه وحده الإله الحق لا شريك له، و(الإله) بمعنى: (المألوه) أي: (المعبود) حباً وتعظيماً.

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ كُفُّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٣﴾. [سورة البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾. [سورة آل عمران: ١٨]، وكل من اتخذ إلهاً مع الله، يعبد من دونه؛ فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بَأْسَ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾. [سورة الحج: ٦٢]. وتسميتها آلهة؛ لا يعطيها حق الألوهية، قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناة): ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ

سُلْطَنِينَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ .
[سورة النجم: ٢٣]

وقال عن هود: إنه قال لقومه: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمِيَّتُمْوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ ۖ فَاَنْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ . [سورة الأعراف: ٧١]

وقال عن يوسف عليه السلام أنه قال لصاحبي السجن: ﴿يَصَدِّحِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ۖ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُمْوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ . [سورة يوسف: ٣٩-٤٠]

ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ . [سورة الأعراف: ٥٩]، ولكن أبي ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:
الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعاً لعبادها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة، ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السموات، ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ . [سورة الفرقان: ٣]

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ ۖ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا نَنْفَعُ

الْشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾. [سورة سبأ: ٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾. [سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢]

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة؛ فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.
والثاني: أن هؤلاء المشركين، كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يُجَارُ عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية، كما وحدوه بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾. [سورة البقرة: ٢١-٢٢]

وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾. [سورة الزخرف: ٨٧]

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۗ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾. [سورة يونس: ٣١-٣٢]

المطلب الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

أي: إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء، و الصفات، على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

وقد ضلَّ في هذا الأمر طائفتان:

إحدهما: (المعطلة):

وهم الذين أنكروا الأسماء و الصفات، أو بعضها، زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه، أي: تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل؛ لوجوه، منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة؛ كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء، و الصفات، ونفى أن يكون كمثلته شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه؛ لزم التناقض في كلام الله، وتكذيب بعضه بعضاً.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشئيين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلاهما إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية، والسمع، والبصر، والكلام، وترى الحيوانات لها أيدي، وأرجل، وأعين، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها، وأرجلها، وأعينها متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات؛ فالتباين بين الخالق و المخلوق أبين وأعظم، والله المثل الأعلى.

الطائفة الثانية: (المشبهة):

وهم الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه، زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص؛ لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون، وهذا الزعم باطل؛ لوجوه منها:

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر يبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمرًا باطلاً.

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكيفية الذي عليه ذلك المعنى؛ فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع؛ فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى، (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة؛ لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات؛ فالتباين فيها بين الخالق و المخلوق أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه؛ فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليها غير معلومة لنا بالنسبة إلى استواء الله على عرشه؛ لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق؛ فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم، والله المثل الأعلى.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالله تعالى:

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة، منها:
اعلم- وفقني الله وإياك- أن العلم بصفات الله عز وجل، والإيمان بها، على ما يليق به سبحانه، وتدبرها: يورث ثمرات عظيمة وفوائد جليلة، تجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان، وقد حُرِّمَها قومٌ كثيرون من المعطلة والمؤولة والمشبهة، وإليك بعضاً منها:

أولاً: ثمرات الإيمان بالله بصفة عامة:

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر ثمرات جليلة منها:
الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوف، ولا يعبد غيره.
الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.
الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

ثانياً: ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته خاصة:

- ١- أن العبد إذا آمن بصفات (العلم، والإحاطة، والمعية)، أورثه ذلك الخوف من الله عز وجل المطلع عليه الرقيب الشهيد، فإذا آمن بصفة (السمع)، علم أن الله يسمعه، فلا يقول إلا خيراً، فإذا آمن بصفات (البصر، والرؤية، والنظر، والعين) علم أن الله يراه فلا يفعل إلا خيراً؛ فما بالك بعبد يعلم أن الله يسمعه، ويراه، ويعلم ما هو قائل وعامل، أليس حري بهذا العبد أن لا يجده الله حيث نهاه، ولا يفتقده حيث أمره؟! فإذا علم العبد وآمن أن الله (يجب، ويرضى) عمل ما يحبه معبوده ومحبوه وما يرضيه، فإذا آمن أن من صفاته (الغضب، والكره، والسخط، والمقت، والأسف) عمل بما لا يغضب مولاه ولا يكرهه حتى لا يسخط عليه ويمقتة ثم يلعنه ويطرده من رحمته، فإذا آمن بصفات (الفرح، والضحك)، أنس لهذا الرب الذي يفرح لعباده ويتبشش لهم ويضحك لهم؛ ((ما عدنا خيراً من رب يضحك)).
- ٣- أنه إذا علم العبد وآمن بصفات الله من (الرحمة، والرأفة، والتوب، واللطف، والعفو، والمغفرة، والستر، وإجابة الدعاء) فإنه كلما وقع في ذنب، دعى الله أن يرحمه ويغفر

له ويتوب عليه، وطمع فيما عند الله من سترٍ ولطفٍ بعباده المؤمنين، فأكسبه هذا رجعة وأوبة إلى الله كلما أذنب، ولا يجد اليأس إلى قلبه سبيلاً، كيف ييأس من يؤمن بصفات (الصبر، والحلم)؟! كيف ييأس من رحمة الله من علم أن الله يتصف بصفة (الكرم، والجود، والعطاء)؟!

٤- ومنها: أن العبد الذي يعلم أن الله يتصف بصفات (القهر، والغلبة، والسلطان، والقدرة، والهيمنة، والجبروت) يعلم أن الله لا يعجزه شيء؛ فهو قادرٌ على أن يخسف به الأرض، وأن يعذبه في الدنيا قبل الآخرة؛ فهو القاهر فوق عباده، وهو الغالب من غالبة، وهو المهيم على عماده، ذو الملكوت والجبروت، والسلطان القديم، فسبحان ربي العظيم.

٥- ومن ثمرات الإيمان بصفات الله عز وجل أن يظل العبد دائم السؤال لربه، فإن أذنب سأله بصفات (الرحمة، والتَّوْب، والعفو، والمغفرة) أن يرحمه ويتوب عليه ويعفو عنه ويغفر له، وإن خشى على نفسه من عدو متحهم جبار، سأل الله بصفات (القوة، والغلبة، والسلطان، والقهر، والجبروت)؛ رافعاً يديه إلى السماء، قائلاً: يا رب، يا ذا القوة والسلطان والقهر والجبروت، اكفنيه. فإن آمن أن الله (كفيل، حفيظ، حسيب، وكيل)، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، وتوكل على (الواحد، الأحد، الصمد)، وعلم أن الله ذو (العزة، والشدة، والمحال، والقوة، والمنعة) مانعه من أعدائه، ولن يصلوا إليه بإذنه تعالى، فإذا ما أصيب بفقر؟ دعى الله بصفات (الغنى، والكرم، والجود، والعطاء)، فإذا أصيب بمرض؛ دعاه لأنه هو (الشافى، الكافي)، فإن منع الذرية؛ سأل الله أن يرزقه ويهبه الذرية الصالحة؛ لأنه هو (الرزاق، الوهاب)... وهكذا فإن من ثمرات العلم بصفات الله والإيمان بها دعاؤه بها.

٦- أن العبد إذا تدبر صفات الله من (العظمة، والجلال، والقوة، والجبروت، والهيمنة)؛ استصغر نفسه، وعلم ضعفها وعجزها، وإذا علم أن الله محتصٌ بصفة (الكبرياء)؛ لم يتكبر على أحد، ولم ينازع الله فيما خص نفسه من الصفات، وإذا علم أن الله متصف بصفة (الغنى، والملك، والعطاء) استشعر افتقاره إلى مولاه الغني الحميد سبحانه وتعالى، مالك الملك، الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء.

- ٧- أن العبد إذا علم أن الله يتصف بصفة (القوة، والعزة، والغلبة)، وآمن به؛ علم أنه إنما تكتسب قوته من قوة الله، وعزته من عزة الله؛ فلا يذل ولا يخضع لكافر، وعلم أنه إن كان مع الله؟ كان الله معه، ولا غالب لأمر الله.
- ٨- ومن ثمرات الإيمان بصفات الله: أن لا ينازع الله في صفة (الحكم، والألوهية)؛ فلا يحكم إلا بما أنزل الله، ولا يتحاكم إلا إلى ما أنزل الله.
- ٩- ومنها: أن صفات (الكيد، والمكر، والاستهزاء، والخداع) إذا آمن بها العبد على ما يليق بذات الله وجلاله وعظمته! علم أن لا أحد يستطيع أن يكيد لله أو يمكر به، وهو خير الماكرين سبحانه، ويعلم العبد أن من أثر استهزاء الله بالعبد أن يغضب عليه ويمقتة ويعذبه، فكان الإيمان بهذه الصفات وقاية للعبد من الوقوع في مقت الله وغضبه.
- ١٠- ومنها أن العبد الذي يعلم أن الله متصف بصفة (السلام، والمؤمن، والصدق)؛ فإنها يشعر بالطمأنينة والهدوء النفسي، فالله هو (السلام)، ويجب السلام، وينشر السلام بين المؤمنين، وهو (المؤمن) الذي آمن الخلق من ظلمه، وإذا اعتقد العبد أن الله متصف بصفة (الصدق)، وأنه وعده إن هو عمل صالحاً جنات تجري من تحتها الأنهار؛ علم أن الله صادق في وعده، لن يخلفه، فيدفعه هذا لمزيد من الطاعة، طاعة من يثق أن الله لا يخلف وعده.
- ١١- ومنها: أن صفات الله الخيرية (الوجه، واليدين، والأصابع، والأنامل، والقدمين، والساق، وغيرها) تكون كالاختبار الصعب للعباد، فمن آمن بها وصدق بها على وجه يليق بذات الله عز وجل بلا تمثيل ولا تحريف ولا تكييف، وقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]، ولا فرق بين إثبات صفة العلم والحياة والقدرة وبين هذه الصفات، من هذا إيمانه ومعتقده، فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن قدم عقله السقيم على النقل الصحيح، وأول هذه الصفات، وجعلها من الجاز، وحرف فيها، وعطلها؛ فقد خسر خسراً مبيناً، إذ فرّق بين صفة وصفة، وكذّب الله فيما وصف به نفسه، وكذّب رسوله ﷺ، فلو لم يكن من ثمرة الإيمان بهذه الصفات إلا أن تدخل صاحبها في زمرة

المؤمنين الموحدين؛ لكفى بها ثمرة، ولو لم يكن من ثمراتها إلا أنها تميز المؤمن الحق الموحّد المصدق لله ورسوله ﷺ وبين ذاك الذي تجرّأ عليهما، وحرّف نصوصهما، واستدرك عليهما فكيف إذا علم أنّ هناك ثمرات أخرى عظيمة للإيمان بهذه الصفات الخيرية؛ منها أنّك إذا آمنت أنّ لله وجهاً يليق بجلاله وعظمته، وأنّ النّظر إليه من أعظم ما ينعم الله على عباده يوم القيامة، وقد وعد به عباده الصالحين؛ سألت الله النظر إلى وجهه الكريم، فأعطاك إياه، وأنّك إذا آمنت أنّ لله يداً ملأى لا يغيضها نفقة، وأنّ الخير بين يديه سبحانه؛ سألته مما بين يديه، وإذا علمت أنّ قلبك بين أصبعين من أصابع الرحمن؛ سألت الله أنّ يثبت قلبك على دينه وهكذا.

١٢- ومن ثمرات الإيمان بصفات الله عز وجل: تنزيه الله وتقديسه عن النقائص، ووصفه بصفات الكمال، فمن علمت أنّ من صفاته (القدوس، السبوح) نزهة الله من كل عيبٍ ونقص، وعلمت أنّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

١٣- ومنها: أنّ العبد الذي يؤمن أنّ من صفات الله الخاصة به (المصور)؛ فإنّه لا يحاول مضاهاة الله في ذلك، ولا منازعته فيه، فيتعد عن التصوير المحرم من ذوات الأرواح.

١٤- ومنها: أنّ من علم أنّ من صفات الله (الحياة، والبقاء) علم أنّها تعبد إلهاً لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، فأورثها ذلك محبة وتعظيماً وإجلالاً لهذا الرب الذي هذه صفته.

١٥- ومن ثمرات الإيمان بصفة (العلو، والفوقية، والاستواء على العرش، والنزول، والقرب)؛ أنّ العبد يعلم أنّ الله منزّه عن الحلول بالمخلوقات، وأنّه فوق كل شيء، مطلع على كل شيء، بائن عن خلقه، مستو على عرشه، وهو قريب من عباده بعلمه، فإذا احتاج العبد إلى ربه؛ وجدّه قريباً منه، فيدعوه، فيستجيب دعاءه، وينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل كما يليق به سبحانه، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، فيورث ذلك حرصاً عند العبد بتفقد هذه الأوقات التي يخلو فيها مع ربه القريب منه.

١٦- ومنها: أنّ الإيمان بصفة (الكلام) وأنّ القرآن كلام الله يجعل العبد يستشعر وهو يقرأ

القرآن أنه يقرأ كلام الله، فإذا قرأت: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [سورة الانفطار: ٦] أحسست أن الله يكلمك ويتحدث إليك، وأنت إذا آمنت بهذه الصفة، وقرأت في الحديث الصحيح أن الله سيكلمك يوم القيامة، ليس بينه وبينك ترجمان استحيت أن تعصي الله في الدنيا، وأعددت لذلك الحساب والسؤال جواباً.

وهكذا؛ فما من صفة لله تعالى؛ إلا وللإيمان بها ثمرات عظيمة وآثار كبيرة مترتبة على ذلك الإيمان؛ فما أعظم نعم الله على أهل السنة والجماعة الذين آمنوا بكل ذلك على الوجه الذي يليق بالله تعالى !

المبحث الثاني الإيمان بالملائكة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بوجود الملائكة.

المطلب الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه.

المطلب الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم.

المطلب الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالملائكة.

الإيمان بالملائكة: (١)

والإيمان بالملائكة يتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بوجود الملائكة.

الملائكة: عالمٌ غيبي، مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ

وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾. [سورة الأنبياء: ١٩-٢٠]

وهم عدد كثير، لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع له البيت المعمور في السماء، يُصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم. (٢)

المطلب الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم أسماءهم

نؤمن بهم إجمالاً.

المطلب الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه

رآه على صفته التي خلق عليها، وله ستمائة جناح قد سد الأفق.

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل) حين أرسله الله تعالى إلى مريم فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه، جاءه بصفة رجلٍ شديدٍ بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها؛ فأجابته النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق، ثم قال صلى الله عليه وسلم: ((هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)). (٣)

(١) ينظر: نبذة في العقيدة، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج رقم: (٣٦٧٤)؛ ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب:

الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات، رقم: (٤٠٩)

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٩٣).

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا على صورة رجال.
المطلب الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى؛ كتسبيحه،
 والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل، ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.

مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى، يرسله الله به إلى الأنبياء و الرسل.

وميكائيل: الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

وإسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

وملك الموت: الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومالك: الموكل بالنار، وهو خازن النار.

والملائكة الموكلين بالأجنّة في الأرحام، إذا أتم الإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث

الله إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيّ، أو سعيد.

والملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم، وكتابتها لكل إنسان، ملكان أحدهما عن

اليمن والثاني عن الشمال.

والملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره؛ يأتيه ملكان، يسألانه عن ربه،

ودينه، ونبيه.

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً، وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير

الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَبْجَاحٍ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾

﴿سورة فاطر: ١﴾. [سورة فاطر: ١]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ تَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

وَأَدْبَرَهُمْ وذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. [سورة الأنفال: ٥٠]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا

مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾. [سورة سبأ: ٢٣]

وقال في أهل الجنة: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾. [سورة الرعد: ٢٣-٢٤]

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)). (١)

وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَلِأَوَّلٍ فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا الصُّحُفَ وَجَاءُوا يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ)). (٢)

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون، وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالملائكة:

والإيمان بالملائكة، يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكّل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، رقم: (٣٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، رقم: (٣٠٣٩).

المبحث الثالث

الإيمان بالكتب

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأن نزوها من عند الله.

المطلب الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه.

المطلب الثالث: تصديق ما صح من أخبارها.

المطلب الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالكتب.

الإيمان بالكتب:

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

الكتب: جمع (كتاب). بمعنى (مكتوب).

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسوله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وهي منزلة من عند الله تعالى على من شاء من رسوله.

المطلب الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ،

والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزبور الذي أوثبه داود ﷺ، وأما ما لم نعلم اسمه؛ فنؤمن به إجمالاً.

المطلب الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو

يُحرف من الكتب السابقة.

المطلب الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا و التسليم به سواء أفهمنا

حكيمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾.

[سورة المائدة: ٤٨] أي (حاكماً عليه).

وعلى هذا، فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صحَّ منها،

وأقره القرآن.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالكتب:

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلاً منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده، حيث أنزل لكل قوم كتاباً، يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرَّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما

قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. [سورة المائدة: ٤٨]

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك.

اطبِحت الرابِع الإيمان بالرسَل

وفيه خمسة مطالب:

1. اطبِلب الأول: الإيمان بأن رسالتهم حقٌّ من عند الله تعالى.
2. اطبِلب الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمهم.
3. اطبِلب الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.
4. اطبِلب الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم.
5. اطبِلب الخامس: ثمرات الإيمان بالرسَل.

الإيمان بالرسول:

الرسول: جمع (رسول). بمعنى: (مُرْسَل) أي مبعوث بإبلاغ شيء.
والمراد هنا: من أوحى إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه.
وأول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم محمد عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَايَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [سورة النساء: ١٦٣].
وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم: ((ذكر أن الناس يأتون إلى آدم؛ ليشفع لهم، فيعتذر إليهم ويقول: اتنوا نوحاً أول رسول بعثه الله)) وذكر تمام الحديث. (١)

وقال الله تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].
ولم تخل أمة من رسول، يعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحي إليه بشريعة من قبله؛ ليجددها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر: ٢٤].

والرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الرسل، وأعظمهم جاهاً عند الله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم: (٦١٩٧)

أَجِدَمِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ﴿٢٢﴾ . [سورة الجن: ٢١-٢٢]

وتلحقهم خصائص البشرية: من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام، والشراب، وغير

ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ

يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ . [سورة الشعراء: ٧٩-٨٠]

وقال النبي ﷺ: ((إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون؛ فإذا نسيت؛ فذكروني)). (١)

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم؛ فقال

تعالى في نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ . [سورة الإسراء: ٣] وقال في النبي

ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ . [سورة الفرقان: ١]

وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب صلى الله عليهم وسلم: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّمِ

عِنْدَنَا لِمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ . [سورة ص: ٤٥-٤٧]

وقال في عيسى ابن مريم ﷺ: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي

إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ . [سورة الزخرف: ٥٩]

والإيمان بالرسول يتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد

منهم؛ فقد كفر بالجميع، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ . [سورة

الشعراء: ١٠٥]، فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل، مع أنه لم يكن رسول غيره حين

كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمداً ﷺ ولم يتبعوه؛ هم مكذبون للمسيح ابن

مريم، غير متبعين له أيضاً، لا سيما أنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه

رسول إليهم، ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

(١) رواه البخاري، كتاب أبواب القبلة، باب التوجه إلى القبلة حيث كان، رقم (٣٩٢).

المطلب الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه؛ مثل: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۗ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۗ﴾ [سورة الأحزاب: ٧]، وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ ۗ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۗ﴾ [سورة الشورى: ١٣]

وأما من لم نعلم اسمه منهم؛ فنؤمن به إجمالاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾ [سورة غافر: ٧٨]

المطلب الثالث: تصديق ما صحَّ عنهم من أخبارهم.

المطلب الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۗ﴾ [سورة النساء: ٦٥]

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالرسول:

وللإيمان بالرسول ثمراتٌ جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى، وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل؛ ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله؛ لأنَّ العقل البشري، لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبةُ الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم، وأبطله بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۗ ﴾ [٩٤] قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا ۗ ﴾ [سورة الإسراء: ٩٤-٩٥]

فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لا بد أن يكون الرسول بشرًا؛ لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة؛ لنزل الله عليهم من السماء ملكًا رسولًا؛ ليكون مثلهم، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسول أنهم قالوا: ﴿ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [١٠] قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة إبراهيم: ١٠-١١]

مطبعت الخامس الإيمان باليوم الآخر وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالبعث.

المطلب الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء.

المطلب الثالث: الإيمان بالجنة والنار وأنهما أمثال الأبدى للخلق.

المطلب الرابع: ثمرات الإيمان باليوم الآخر.

الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يُبعثُ الناس فيه؛ للحساب، والجزاء. وسمي بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، حيث يستقرُّ أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخُ في الصور النفخة الثانية؛ فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير متعلين، عراة غير مستترين، عُراة غير محتنتين، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾. [سورة الأنبياء: ١٠٤]

والبعث: حقٌّ ثابت، دلَّ عليه الكتاب، و السنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾. [سورة المؤمنون: ١٥]

[سورة المؤمنون: ١٥-١٦]

وقال النبي ﷺ: ((يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً)). (١)

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة، حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه

الخليقة معاداً، يجازيهم فيه على ما شرعه لهم فيما بعث به رسله، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ

أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾. [سورة المؤمنون: ١١٥] وقال

لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ

بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. [سورة القصص: ٨٥]

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، رقم: (٧١٢٧).

المطلب الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسبُ العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دلَّ على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾. [سورة الغاشية: ٢٥-٢٦] وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾. [سورة الأنعام: ١٦٠] وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾. [سورة الأنبياء: ٤٧]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ﴿هَتُوْلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾)). (١)

وصحَّ عن النبي ﷺ: ((مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمَلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ)). (٢)

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة؛ فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحلَّ دماءهم، وذريَّاتهم، ونساءهم، وأموالهم، فلو لم يكن حساب ولا جزاء؛ لكان هذا من العبث الذي ينزهه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسَعَنَّ الَّذِينَ أَزْسِلُ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَعَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب: قول الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين، رقم: (٢٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: من هم بحسنة أو سيئة، رقم: (٦١٢٦) ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، رقم: (٣٣٥).

﴿٦﴾ فَلَنُقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ . [سورة الأعراف: ٦-٧]

المطلب الثالث: الإيمان بالجنة والنار وأهما المآل الأبدي للخلق.

فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله، مُتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ، فيها من أنواع النعيم

((ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)) (١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ .

[سورة البينة: ٧-٨] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ . [سورة السجدة: ١٧]

وأما النار: فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسوله، فيها من أنواع العذاب، والنَّكَّالِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ . [سورة آل عمران: ١٣١]، وقال تعالى:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ

بِهِمْ سُورَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ

مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ . [سورة الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا

﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ

يَلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ . [سورة الأحزاب: ٦٤-٦٦]

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في وصف الجنة وأنها مخلوقة، رقم: (٣٠٧٢).

المطلب الرابع: ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

للإيمان باليوم الآخر ثمراتٌ جليلةٌ منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة، والحرص عليها؛ رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية، ومن الرضى بها؛ خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة، وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت؛ زاعمين أن ذلك غير ممكن.

وهذا الزعم باطل، دلَّ على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا

عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾. [سورة التغابن: ٧]. وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

وأما الحس: فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة، خمسة

أمثلة على ذلك، هي:

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوَسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ

جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾. [سورة البقرة: ٥٥] فأماهم الله تعالى، ثم

أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾. [سورة البقرة: ٥٦]

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي احتصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا

بقرة فيضربوه ببعضها؛ ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا

فَأَدْرَأَكُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْفُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾. [سورة البقرة: ٧٢-٧٣]

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم أُلوف؛ فأماهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣]

المثال الرابع: في قصة الذي مرَّ على قرية مَيِّتَةٍ، فاستبعد أن يحييها الله تعالى؛ فأماته الله تعالى مائة سنة، ثم أحياه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ لَبِئْتُمْ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِئْتُمْ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩]

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل، حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى؛ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن؛ فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعيًا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠]

فهذه أمثلة حسية واقعة، تدل على إمكان إحياء الموتى، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى بن مريم في إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل: فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطر السموات، والأرض، وما فيهما، خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق، لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

[سورة الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤] وقال

أمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ

بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾. [سورة يس: ٧٩]

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة، ليس فيها شجرة خضراء؛ فينزل عليها المطر؛

فتهتز خضراء حيّة، فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على

إحياء الأموات، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ

أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾. [سورة

فصلت: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ

﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ

﴿١١﴾﴾. [سورة ق: ٩-١١]

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر:

الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

(أ) **فتنة القبر:** وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه؛ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، ودينى الإسلام، ونبىي محمد ﷺ، ويضل الله الظالمين فيقول الكافر: هاه، هاه، لا أدري، ويقول المنافق أو المرتاب (١): لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(ب) **عذاب القبر ونعيمه:** فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ۗ هَٰذَا يَوْمُ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٣].

وقال تعالى في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [سورة غافر: ٤٦].

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: ((فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل بوجهه؛ فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار)) قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: ((تعوذوا بالله من عذاب القبر))، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: ((تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها، وما بطن))، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: ((تعوذوا بالله من فتنة الدجال)) قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال. (٢)

وأما نعيم القبر؛ فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

(١) (أو) للشك من الراوي كما في الصحيحين .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، و التعوذ منه، رقم (٧١٤٢).

أَسْتَقَمُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ . [سورة فصلت: ٣٠]

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تُنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ . [سورة الواقعة: ٨٣-٨٩]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: ((ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّاً بصره)). (١)

وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفته الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره؛ لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة، ولا ضيق.

وهذا الزعم باطل؛ بالشرع، والحس، و العقل:

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه.

وفي صحيح البخاري - من حديث - ابن عباس رضي الله عنه قال: (خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة؛ فسمع صوت إنسانين يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا) وذكر الحديث، وفيه: (أن أحدهما كان لا يستتر من البول) وفي رواية: (من بوله)، وأن الآخر كان يمشي بالنميمة) وفي رواية لمسلم: (لا يستتره من البول)). (٢)

وأما الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج، يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش، يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه، والنوم أخو الموت، ولهذا سماه الله تعالى: (وفاة) قال الله

(١) أخرجه أحمد، كتاب حديث البراء بن عازب، رقم: (١٨٠٦٣)، وأبو داود، كتاب أول كتاب السنة، باب: المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم: (٤٧٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: النميمة من الكبائر، رقم (٥٧٠٨)، ورواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٦٧٦) .

تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

[سورة الزمر: ٤٢]

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي ﷺ على صفته، ومن رآه على صفته؛ فقد رآه حقاً، ومع ذلك، فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإذا كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا؛ أفلا يكون ممكناً في أحوال الآخرة؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره؛ لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق؛ فجوابه من وجوه منها :

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع، بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل؛ لعلم بطلان هذه الشبهات، وقد قيل:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس؛ لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب، والنعيم، وسعة القبر، وضيقه؛ إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيقٍ موحش، أو في مكان واسعٍ بهيج، والذي حوله لا يرى ذلك ولا يشعر به، ولقد كان النبي ﷺ يوحى إليه، وهو بين أصحابه؛ فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه، والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسموات السبع، والأرض، ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً، يُسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً، ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾. [سورة الإسراء: ٤٤]،
وهكذا الشياطين، والجن يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً، وقد حضرت الجن إلى رسول
الله ﷺ واستمعوا لقراءته، وأنصتوا، وولّوا إلى قومهم منذرين، ومع هذا؛ فهم محبوبون عنا،
وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْنَىٰ ۖ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ
يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يُرِيكُمُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا
الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾. [سورة الأعراف: ٢٧]، وإذا كان الخلق لا
يدركون كل موجود؛ فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدر كونه.

اطبِحت السّادس

الإيمان بالقدر

وفيه خمسة مطالب:

اططلب الأول: الإيمان بأنّ الله تعالى عالمٌ بكلّ شيءٍ، جملةً وتفصيلاً.

اططلب الثاني: الإيمان بأنّ الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ.
اططلب الثالث: الإيمان بأنّ جميع الكائنات لا تكون إلاّ بمشيئة الله تعالى.

اططلب الرابع: الإيمان بأنّ جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها

اططلب الخامس: ثمرات الإيمان بالقدر.

الإيمان بالقدر:

القَدْر (بفتح الدال): تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته.

والإيمان بالقدر يتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأن الله تعالى عالم بكل شيء، جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواء

كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده.

المطلب الثاني: الإيمان بأن الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾. [سورة الحج: ٧٠]

وفي صحيح مسلم - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول

الله ﷺ يقول: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف

سنة)). (١)

المطلب الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء أكانت

مما يتعلق بفعله، أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ

مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾.

[سورة القصص: ٦٨]، وقال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾. [سورة

إبراهيم: ٢٧] ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾. [سورة إبراهيم: ٢٧]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي

يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾. [سورة آل عمران: ٦]

وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ﴿١١٢﴾.

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾. [سورة الأنعام: ١١٢]

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٦٦٩٠).

المطلب الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الزمر: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٢]، وقال عن نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٩٦].

والإيمان بالقدر - على ما وصفنا - لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وقدرة عليها؛ لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾ [سورة النبأ: ٣٩]، وقال في القدرة: ﴿فَأَنقُضْ اللَّهُ مَا أَسْطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن: ١٦]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة، بهما يفعل، وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد، وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [سورة التكويد: ٢٨-٢٩]، ولأن الكون كله ملك لله تعالى؛ فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيعته.

والإيمان بالقدر - على ما وصفنا - لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات، أو فعل من المعاصي، وعلى هذا؛ فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٨]، ولو كان لهم حجة بالقدر؛ ما أذقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾. [سورة النساء: ١٦٥]، ولو كان القدر حجة للمخالفين؛ لم تنتفِ بإرسال الرسل؛ لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم - واللفظ للبخاري - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ)) فقال رجل من

القوم: أَلَا نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: ((لَا اَعْمَلُوا فِكْلٌ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ

وَأَنْقَى ﴿٥﴾. [سورة الليل: ٥]، وفي لفظ لمسلم: ((فِكْلٌ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ)). (١) فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل، ونهى عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا

اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. [سورة التغابن: ١٦]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا

كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾. [سورة البقرة: ٢٨٦]، ولو كان العبد مجبراً على الفعل؛ لكان

مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل؛ ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه؛ فلا إثم عليه؛ لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالى سرُّ مكتومٍ لا يُعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما

يفعله سابقة على فعله؛ فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه؛ حتى يدركه، ولا

يعدل عنه إلى ما لا يلائمه، ثم يحتجُّ على عدوله بالقدر؛ فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه

إلى ما يضره ثم يحتجُّ بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟!

وإليك مثلاً يوضح ذلك:

لو كان بين يدي الإنسان طريقان: أحدهما: ينتهي به إلى بلد كلها فوضى: قتل، ونهب،

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: فسنيصره ليسرى رقم: (٤٦٦٣)، ورواه مسلم، كتاب القدر، باب:

كيفية خلق آدمي وكتابة أجله، رقم: (٦٦٧٥).

وانتهاك للأعراض، وخوف، وجوع.

والثاني: ينتهي به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض و الأموال، فأبي الطريقين يسلك؟

إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام و الأمن، و لا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، و يحتجُّ بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة و يحتجُّ بالقدر؟

ومثالاً آخر: نرى المريض يؤمر بالدواء؛ فيشربه، و نفسه لا تشتهيه، و ينهى عن الطعام الذي يضره؛ فيتركه، و نفسه تشتهيه، كل ذلك؛ طلباً للشفاء و السلامة، و لا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء، أو يأكل الطعام الذي يضره، و يحتجُّ بالقدر، فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله به و رسوله أو يفعل ما نهى الله عنه و رسوله ثم يحتجُّ بالقدر؟

السابع: أن المحتجَّ بالقدر على ما تركه من الواجبات، أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله، أو انتهك حرمة، ثم احتجَّ بالقدر، و قال: لا تلمني فإنَّ اعتدائي كان بقدر الله؛ لم يقبل حجته، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، و يحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!!

و يُذكرُ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رُفِعَ إليه سارقٌ استحق القطع؛ فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله؛ فقال عمر: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالقدر:

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب، بحيث لا يعتمد على السبب نفسه؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يُعجَب المرء بنفسه عند حصول مراده؛ لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه، ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجزى عليه من أقدار الله تعالى؛ فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو

كائن لا محالة، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾. [سورة الحديد: ٢٢-٢٣]، ويقول النبي ﷺ: ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرأء شكر؛ فكان خيرا له، وإن أصابته ضرأء صبر؛ فكان خيرا له)). (١)

وقد ضلَّ في القدر طائفتان:

إحدهما: الجبرية الذين قالوا إنَّ العبد مجبر على عمله، وليس له فيه إرادة ولا قدرة.
الثانية: القدرية الذين قالوا: إنَّ العبد مستقل بعلمه في الإرادة، والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى، وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإنَّ الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه، قال الله تعالى: ﴿مِّنكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾. [سورة آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩). [سورة الكهف: ٢٩]، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦). [سورة فصلت: ٤٦]
وأما الواقع: فإنَّ كل إنسان يعلمُ الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته: كالأكل، والشرب، والبيع، والشراء، وبين ما يقعُ عليه بغير إرادته: كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار، ولا يريد لما وقع عليه.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم (٧٤٢٥).

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بيّن الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآيُنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة السجدة: ١٣].

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون؛ فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

الفصل الرابع: نواقض الإيمان وضوابط التكفير.

وفيه مبحثان

المبحث الأول: نواقض الإيمان.

المبحث الثاني: ضوابط التكفير.

امبحث الأول
نواقض الإيمان
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الناقض في اللغة والاصطلاح.
المطلب الثاني: نواقض الإيمان.

نواقض الإيمان:

إن معرفة نواقض الإيمان مهمة جداً للمسلم لكي يكون على حذرٍ منها، ولكي ينبه غيره من الوقوع فيها، وقبل ذكر النواقض يحسن بنا أن نعرف الناقض في اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: تعريف الناقض:

الناقض في اللغة:

التَّقْضُ: إِفْسَادُ مَا أُبْرِمَتْ مِنْ عَقْدٍ أَوْ بِنَاءٍ، وَفِي الصَّحَاحِ: التَّقْضُ نَقْضُ الْبِنَاءِ وَالْحَبْلِ وَالْعَهْدِ. غَيْرُهُ: النَّقْضُ ضِدُّ الْإِبْرَامِ، نَقَضَهُ يَنْقُضُهُ نَقْضًا وَانْتَقَضَ وَتَنَاقَضَ. وَالتَّقْضُ: اسْمُ الْبِنَاءِ الْمُنْقُوضِ إِذَا هُدِمَ. (١)

فهو بمعنى ناكث الشيء، ومنشر العقد. والنقض ضد الإبرام. ونقيضك؛ الذي يخالفك. قال

تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ

جَعَلْتُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة النحل: ٩١]، قال

تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْأَيْمَانَ ﴾ [سورة الرعد: ٢٠]

الناقض في الاصطلاح:

هو الاعتقاد والقول والفعل المكفر؛ الذي ينتفي به إيمان العبد ويزول، ويخرجه من دائرة الإسلام والإيمان إلى حظيرة الكفر، والعياذ بالله.

وفي المصطلح الفقهي عند الفقهاء؛ يطلق اسم المرتد على الذي ينقض إيمانه بهذه المكفرات الثلاث.

(١) ينظر: لسان العرب، ٧/٢٤٢.

المطلب الثاني: نواقض الإيمان:

وهي في الجملة منها نواقض اعتقادية، ونواقض قولية، ونواقض عملية ولا تكون إلا بدليل من الكتاب أو السنة. ومنها:

١ - الشرك في عبادة الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾. [سورة النساء: ١١٦]

فمن الشرك بالله دعاء غير الله والاستغاثة به وطلب المدد والعون منه، والذبح له والنذر له، وتعظيمه كتعظيم رب العالمين، والسجود عند أعتاب القبور، واعتقاد أن غير الله يملك نفعاً أو ضرراً ونحو ذلك من أمور الشرك التي يقع فيها بعض المسلمين اليوم.

بعض مظاهر الشرك: (١)

- ١- الاعتقاد بأن للكون أقطاب يتصرفون فيه.
- ٢- الاعتقاد بأن أرواح الأولياء الصالحين تتصرف في العباد وأحوالهم بعد الموت. وأنهم يملكون للخلق نفعاً أو ضرراً.
- ٣- الخوف من الجن والرغبة منهم في ما لا يقدر عليه إلا الله.
- ٤- طاعة المشايخ من الصوفية وغيرهم في معصية الله مع اعتقاد ذلك حق وهو ما كان في بني إسرائيل. قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾. [سورة التوبة: ٣١]

٥- دعاء غير الله والاستغاثة به؛ لأن في الدعاء والاستغاثة طلب نفع ورفع ضرر وهذا من خصائص الربوبية.

٦- من جعل بينه وبين الله وسائط من يدعوهم ويسألهم الشفاعة، كفر إجماعاً.

(١) ينظر: عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٦٥.

٢- الشك: وهو التردد بين التصديق والتكذيب، ولا يصلح إيمان العبد إلا بتصديق تام.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ

فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٤٥]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا

يلقى الله بهما عبداً غير شاكٍّ فيحجب عن الجنة)). [متفق عليه]

والشك في حرف من القرآن فما فوق كفر يخرج من الملة، وكذلك الشك في نبوة

نبي ثبتت نبوته بالكتاب أو السنة، وكذلك الشك في أحد أركان الإسلام الصلاة أو الزكاة

أو الصيام أو الحج ونحو ذلك.

٣- الجحود: وهو الإنكار مع العلم. فهو تكذيب باللسان مع تصديق بالقلب.

قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ

يَجْحَدُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٣٣] وقال سبحانه عن فرعون وقومه: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا

وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة

النمل: ١٤] فمن علم شيئاً من الدين وضح علمه عنده ثم جحده فهو كافر.

وللجحود أنواع: قال ابن القيم رحمه الله: وكفر الجحود نوعان:

كفرٌ مطلقٌ عام، وكفرٌ مقيدٌ خاص:

فالمطلق: أن يجحد جملة ما أنزله الله وإرساله الرسول.

والخاص المقيد: أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة

وصف الله بها نفسه، أو خيراً أخبر الله به عمداً، أو تقدماً لقول من خالفه عليه لغرض من

الأغراض. أ.هـ

ولللجحود أسباب منها: الاستكبار، والحسد، والبغض والكراهية وغير ذلك.

ويترتب عليه آثار منها: التكذيب، والسب، والاستهزاء، والاستحلال، والتشكيك في دين

الله، والإعراض عن دين الله، وافتراء الكذب وغير ذلك. (١)

٤ - الإعراض عن دين الله تعالى:

وهو لغة التولي.

واصطلاحاً هو: التولي عن تعلم أصل الدين الذي يكون به مسلماً، أو يخرج به من عقيدة كفرية أو فعل كفر.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٢].

قال ابن القيم: وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة، كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ: والله أقول لك كلمة إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أكلمك. أ.هـ (٢)

٥ - الاستهزاء والسخرية بالله، أو آياته، أو رسول من رسله:

وهذا كفر بنص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وهو بالقول كمن يتكلم بكلام على الإسلام فيه تهكم وتنقص ليضحك الآخرين، أو يقصد به سب الإسلام. وبالفعل كمن يرمي بالمصحف في طريقة تنقص منه، أو يؤدي حركات الصلاة منتقياً منها ونحو ذلك؛

قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ

عَلَيْكُمْ فِي الْكِنَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنْ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَنَفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم الجوزية، ١/٣٣٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ١/٣٣٧.

ونقل الإمام القرطبي في تفسيره عن القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله وهو يشرح موقف المستهزئين في غزوة تبوك قوله: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جداً أو هزلاً، وهو كيفما كان كفر فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة، فإن التحقيق أخو العلم والحق والهزل أخو الباطل والجهل. أ.هـ (١)

٦- سب الله عز وجل، أو رسول من رسوله، أو سب دين الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧﴾. [سورة الأحزاب: ٥٧] وقال تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦١﴾. [سورة التوبة: ٦١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقال الإمام إسحاق بن راهوية أحد الأئمة الأعلام: أجمع المسلمون على أن من سب الله أو سب رسول الله أو دفع شيئاً مما أنزل الله عز وجل أو قتل نبياً من أنبياء الله عز وجل أنه كافر بذلك وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله. (٢) وقال الخطابي: "لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله".

وقال محمد بن سحنون: "أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ المنتقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر. أ.هـ

٧- الاستكبار على الله وشرعه:

وهو عدم الاعتراف بما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه كبراً، أو عدم الخضوع لطاعة الله كبراً. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٩٧/٨.

(٢) ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيوخ الإسلام ابن تيمية، ص ١٥٥.

مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ﴿٣٤﴾ . [سورة البقرة: ٣٤] وقال تعالى على لسان نوح: ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا
دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْبِعَهُمْ فِيَ آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ . [سورة نوح: ٧] وقال تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ . [سورة الصافات: ٣٥]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن استكبر عن عبادة الله فلم يستسلم له فهو معطل
لعبادته وهو شر من المشركين كفرعون وغيره قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ .
[سورة غافر: ٦٠]. "أ.هـ (١)

وقال ابن القيم: "وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر
الله ولا قابله بالإنكار؛ وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق
الرسول وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباء واستكباراً وهو الغالب على كفر أعداء
الرسول كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا
عٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ . [سورة المؤمنون: ٤٧] وقوله: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا ﴿١١﴾ . [سورة
الشمس: ١١] وهو كفر اليهود كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا
بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ ﴿٨٩﴾ . [سورة البقرة: ٨٩] وقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ . [سورة
البقرة: ١٤٦] وهو كفر أبي طالب أيضاً؛ فإنه صدقه ولم يشك في صدقه ولكن أخذته
الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر. أ.هـ (٢)

(١) ينظر: العقيدة الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٣١٤/٢.

(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، ٣٣٧/١.

٨- التكذيب: وهو تكذيب الرسل فيما جاءوا به من عند ربهم، أو تكذيب شيء من شرع الله. كأن يعتمد إلى آية من كتاب الله ويقول: ليست هذه من القرآن. ونحو ذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٦١﴾﴾. [سورة الأنعام: ٢١] وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايَاتِي فَاكْذَبْتَهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾. [سورة الزمر: ٥٩-٦٠]

قال ابن القيم: "فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار؛ فإن الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المذرة قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾. [سورة النمل: ١٤] وقال لرسوله ﷺ: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾. [سورة الأنعام: ٣٣] وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح إذ هو تكذيب باللسان. أ.هـ (١)

والتكذيب نوعان: تكذيب القلب، وهو ما عناه ابن القيم.
والنوع الثاني: تكذيب اللسان مع علم القلب، وهذا هو الجحود.

٨- العرافة والكهانة:

الكاهن: هو الذي يدعي المعرفة عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب فيصيب بعضها ويخطئ في أكثرها، وذلك عن طريق الجن وغيره.
والعراف: هو الذي يدعي علم ما مضى، كمعرفة السارق ومكان السرقة، واسم من يأتيه ومكانه، وذلك من خلال اتصاله بالجن.

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم الجوزية، ١/٣٣٧.

قال الحافظ ابن حجر: "والكهانة — بفتح الكاف ويجوز كسرهما — ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب.

والأصل فيه: استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن.

والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمنجم ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه، وقال في "المحكم": الكاهن القاضي بالغيب.

روى أحمد عن أبي هريرة والحسن عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)). (١)

وروى مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)). (٢)

٩- السحر: (٣)

معناه في اللغة: ما لطف وخفي سببه.

وأما حقيقته والمقصد منه هنا كما قال ابن مفلح في: "السحر: عقد ورقي وكلام يتكلم به، أو يعمل شيئاً، يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له. وله حقيقة في قول الأكثر، فمنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يمنع الرجل من وطء امرأته، ومنه ما يفرق بينهما". أ.هـ (٤)

وأكثر السحرة يستعينون بالجن في إنفاذ سحرهم ويستعملون الطلاسم التي تؤدي بفعالها إلى الشرك بالله.

وهو أنواع:

١- سحر الصرف: وهو التفريق بين اثنين فأكثر.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (٩١٧١)؛ وأبو داود في سننه (٣٤٠٥)؛ والترمذي في سننه (١٢٥)؛ وابن ماجه (٦٣١) وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، (٤١٣٧).

(٣) ينظر: في هذا الأمر كتاب (عالم السحر والشعوذة) لعمر سليمان الأشقر فإنه فريد في بابه.

(٤) ينظر: المبدع لابن مفلح ٩/١٨٨.

٢- سحر العطف: وهو الجمع بين اثنين فأكثر.

٣- سحر التخيل: كما فعل سحرة فرعون قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا^ط فَإِذَا جَاءَهُمْ

وَعَصِيَّتُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى^{٦٦}﴾. [سورة طه: ٦٦]

وسحر تخيل فعل الشئ ولم يفعل كم فعل لبيد ابن الأعصم اليهودي في النبي ﷺ حيث كان يخيل له أنه يأتي أهل ولم يفعل حتى نزل جبريل عليه السلام ورقاه بالمعوذتين. وحكم الساحر الكفر، ومن يصدقه كافر.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ^ط وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ^ع وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ^ط فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ^ع بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ^ع وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ^ع مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ^ع وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ^ع وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ^ع مَا شَكَرُوا بِهِ^ع أَنفُسَهُمْ^ع لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ^ع﴾. [سورة البقرة: ١٠٢]

١٠- استحلال ما حرم الله ورسوله، أو تحريم ما أحله الله ورسوله.

وهو أن يعتقد المسلم شئ مما حرمه الله حلالاً، كمن يعتقد أن الخمر حلال، أو الزنا حلال ونحو ذلك.

قال الشوكاني: "ومن استحل ما هو حرام كفر بالإجماع". أ.هـ (١)

وقال ابن حزم: "فمن أحل ما حرم الله تعالى وهو عالم بأن الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه، وكل من حرم ما أحل الله تعالى فقد أحل ما حرم الله عز وجل لأن الله تعالى حرم على الناس أن يجرموا ما أحل الله". أ.هـ (٢)

(١) ينظر: نيل الأوطار للشوكاني، ٧٢/٩.

(٢) ينظر: الفصل في الملل، لان حزم الظاهري، ١١٤/٣.

١١ - عدم تكفير المشركين الأصليين، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح مذهبهم: وهم كل من دان بغير الإسلام، من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين وغيرهم من ملل الكفر.

وهذا كفر بإجماع المسلمين، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر. وذلك لأن الله تعالى حكم بكفر هؤلاء فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة المائدة: ١٧].

١٢ - موالاتة المشركين، ونصرتهم على المسلمين:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ ءَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُبِينًا﴾ [سورة النساء: ١٤٤] وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنْ ءَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمٰنِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُوْلٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة التوبة: ٢٣].
وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ءُوْلٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمٰنَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ءُوْلٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ءَإِذَا حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢].

١٣ - النفاق الاعتقادي:

ومعناه: إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشرك بالله.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ

اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾. [سورة البقرة: ٨-٩]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا

كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٤﴾. [سورة النساء: ١٤٢]

وهذا النفاق أنواع منها:

أ- تكذيب الرسول ﷺ فيما جاء به من عند ربه، أو تكذيب بعضه.

ب- بغض الرسول ﷺ، أو بغض بعض ما جاء به.

ج- المسرة بانخفاض دين الإسلام.

د- الكراهية لانتصار دين الإسلام، ومحبة نصرته الكفار على المسلمين.

١٤- من اعتقد أن غير هدى النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من

حكمه؛ كالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّاغُوتِ وَالْأَنْظِمَةَ الْوَضْعِيَّةَ عَلَىٰ حُكْمِهِ ﷺ كاعتقاد

العلمانيين أن شرع الله لا ينفع في هذا العصر، وأن القوانين الوضعية أفضل من شرع الله، أو

مثله، أو يجوز الحكم بها والتحاكم إليها. فهو كافر.

١٥- من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته،

كاعتقاد بعض المتصوفة أن الإنسان يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر

الخروج عن شريعة موسى ﷺ فهو كافر.

ولا فرق في هذه النواقض بين الهازل والجاد، والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم

ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلمة أن تحذرهما، وتخاف منهما على

نفسها نعوذ بالله من موجبات غضبه.

المبحث الثاني

ضوابط التكفير

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: خطورة التكفير.

المطلب الثاني: ماذا نعرف ضوابط التكفير.

المطلب الثالث: ما يترتب على التكفير من أحكام.

المطلب الرابع: ضوابط التكفير.

ضوابط التكفير:

قبل بيان ضوابط التكفير عند أهل السنة يجمل بنا بيان خطورة التكفير، لأهمية بيان ذلك؛ حيث أن أمر التكفير أمرٌ خطير. وتبين لنا خطورة التكفير فيما يلي:

المطلب الأول: خطورة التكفير:

التكفير حكمٌ شرعي وحق محص لله تعالى، لا اعتبار فيه لعقل ولا لذوق، وإنما لا يكفر إلا من كفره الله أو كفره رسوله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فلهذا كان أعل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ إذ الكفر حكمٌ شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك ليس لك أن تكذب عليه؛ لأن الكذب حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله". (١)

والمسلم إذا تلبس بشيء من مظاهر الشرك لا يلزم أن نحكم عليه بالشرك، بل قد يكون معذوراً، فلا يحكم برده حتى تتحقق فيه شروط التكفير وتتفي موانعه، فلا تلازم بين تلبسه بذلك الفعل وبين الحكم عليه بالردة .

المطلب الثاني: لماذا نعرف ضوابط التكفير:

عندما بين علماء الإسلام نواقض الإيمان، والأسباب المخرجة من دائرة الإسلام كانوا يرمون من بياهم هذا إلى ما يلي:

- ١- بيان حكم الله أولاً في القضايا والصور التي تعرضوا لها.
- ٢- بيان الحدود الدينية التي لا يجوز تجاوزها في حالة الاختيار بحيث لو تعداها المسلم فإنه يكون قد خرج من دينه.
- ٣- أرادوا في الوقت نفسه حماية العقيدة ودين الأمة من لعب اللاعبين وتهور المتهورين.
- ٤- تحذير الناس وتنبههم من الوقوع في المكفرات التي يجهلون كثيراً منها، ولهذا نادى بعض الفقهاء بضرورة تعليم الناس وتعريفهم بصور وأسباب الردة التي قد يقعون فيها عن جهل.

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتصرفٍ يسير ٥/٢٤٤.

المطلب الثالث: ما يترتب على التكفير من أحكام:

- وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الشخص المكفر يترتب على كفره أحكام، منها:
- ١- عدم حل زوجته - المسلمة - له، وتحريم بقائها، وبقاء أولادها تحت سلطانه؛ لأن المرأة المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع.
 - ٢- وجوب محاكمته أمام القضاء؛ لتنفيذ حد الردة عليه - وهو القتل - لأنه كفر بعد إسلامه، وذلك بعد استتابته وإقامة الحجة، وإزالة الشبه.
 - ٣- أنه إذا مات على رده وكفره؛ لا تجزي عليه أحكام المسلمين؛ فلا يغسل، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث، كما أنه لا يرث إذا مات له موروث قبله.
 - ٤- أنه إذا مات على الكفر؛ وجبت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والخلود الأبدي في النار - والعياذ بالله - ولا يدعى له بالرحمة، ولا يستغفر له.

المطلب الرابع: ضوابط التكفير:

١ - الأصل في المسلم العدالة:

من ضوابط التكفير أن الأصل في المسلم الظاهر العدالة، بقاء إسلامه، وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى دليل شرعي، فقد اتفق أئمة أهل السنة والجماعة على هذا الضابط؛ فكانوا أعظم الناس ورعاً؛ لأنّ تكفير المسلم مسألة خطيرة، يجب عدم الخوض فيها دون دليل وبرهان، وقد حذر النبي ﷺ أن يكفر أحد أحداً دون برهان فقال: ((إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِمَا أَحَدُهُمَا)). (١)

وهذا أمرٌ عظيم عند أهل السنة في الحكم على الناس، فلا تكون أحكامهم مبنية على ظنون وأوهام أو دعاوي لا يملكون عليها بينات، وهذه من رحمة الله وتيسيره على عباده ومن باب تكليفهم بما يطيقون ويستطيعون، ومرادنا هنا الحكم الدنيوي على الشخص بالإسلام أو الكفر، أما الحكم على الحقيقة فلا سبيل إليه.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّبُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ ءَلَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَّبُوا ۗ وَإِنِ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾. [سورة النساء: ٩٤]

وقال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل، لقوله تعالى: ﴿فَتَيَّبُوا﴾... إلى أن يقول: وإن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك".

قوله ﷺ: ((أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتَلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، برقم: (١١١).

وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ). (١)

وقال أيضاً: "وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط؛ حتى تقام عليه الحججة، وتبين له الحججة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحججة، وإزالة الشبهة". (٢)

٢ - الاحتياط في تكفير المعين:

أهل السنة والجماعة: يطلقون القول في التكفير، فيقولون: من قال كذا، أو فعل كذا؛ فهو كافر، وعندما يتعلق الأمر بالشخص المعين الذي قاله أو فعله، لا يحكمون على كفره إطلاقاً؛ حتى تجتمع فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع، فعندئذ تقوم عليه الحججة التي يكفر تاركها، وهذه قاعدة عظيمة يتميزون بها عن غيرهم؛ لأن التكفير ليس حقاً لأحد، يحكم به على من يشاء على وفق هواه؛ بل التكفير حكم شرعي، فيجب الرجوع في ذلك إلى ضوابط الشرع؛ فمن كفره الله تعالى ورسوله ﷺ وقامت عليه الحججة؛ فهو الكافر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فقد يكون الفعل أو المقالة كفراً، ويطلق القول بتكفير من قال ذلك؛ فهو كافر. لكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول أو فعل ذلك الفعل لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحججة التي يكفر تاركها. وهذا الأمر مطرد في نصوص الوعيد عند أهل السنة والجماعة؛ فلا يشهد على معين من أهل القبلة بأنه من أهل النار؛ لجواز أن لا يلحقه، لفوات شرط أو لثبوت مانع". (٤٨٦).

فإذا توفرت الشروط وانتفت الموانع حكم بردته فيستتاب فإن تاب و إلا قتل.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، برقم: (٢٢).

(٢) ينظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة ٣٠١؛ الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد لأبي عبد الله عبد الرحمن بن عبد الحميد ١٧-٢٤ فقد جمع فيه أهم أدلة من لا يعذرون بالجهل في أصول الدين.

إنَّ السلف اتفقوا على عدم تكفير المعين إلا بعد قيام الحجة، وأنَّ التكفير والتعذيب لا يكون إلا بعد قيام الحجة، استدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥). [سورة الإسراء: ١٥]، وقوله عز وجل: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦٥).

[سورة النساء: ١٦٥] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (٩). [سورة الملك: ٩]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الكتاب والسنة قد دلا على أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأساً، ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية.. ثم ذكر عدداً من الأدلة منها ما ذكرنا وغيرها إلى أن قال: (فمن قد آمن بالله ورسوله، ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول، فلم يؤمن به تفصيلاً، أما أنه لم يسمعه، أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها، أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذي يعذر به، فهذا قد جعل فيه من الإيمان بالله ورسوله ما يوجب أن الله عليه، وما لم يؤمن به (١) لم تقم عليه به الحجة التي يكفر مخالفتها". (٢)

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله بعدما ذكر هذه الآيات: "وهذا كثير في القرآن يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة". (٣)

إذاً لا تقوم الحجة إلا بإرسال الرسل وإنزال الكتب وبلوغ ذلك إلى المعين، أما كيفية قيامها، والفرق بين قيامها وفهمها، فسيأتي بحثه في مسألة العذر بالجهل.

(١) أي تفصيلاً.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٤٩٣/١٢، ٤٩٤، ٣٠٨/١٧.

(٣) طريق المحررتين لابن القيم الجوزية، ٣٨٤؛ وانظر تفسير ابن كثير، ٢٨/٣.

٤ - عدم التكفير بكل ذنب:

من الأصول المجمع عليها عند أهل السنة: أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه، ويقصدون بالذنب الذي لا يكفر صاحبه فعل الكبائر أو الصغائر أو ترك الواجبات، خلافاً للوعيدية، الذين يكفرون أهل الكبائر، وبعضهم يكفر أهل الصغائر، ومرادنا بعدم التكفير بكل ذنب أن هناك بعض الذنوب التي يكفر صاحبها إذا فعلها كنواقض الإيمان التي سبق ذكرها، ومن ذلك أيضاً التكفير بترك الصلاة، وأما الذنوب التي لا يكفرون بها ففعل الكبائر وترك الواجبات ما لم يستحل الكبائر، أو ينكر الواجبات وقد مضى تفصيل مذهب أهل السنة في أهل الكبائر فليراجع.

٥ - موانع التكفير:

التكفير عند أهل السنة والجماعة له موانع يمنع من تنزيل الحكم على الشخص بعينه؛ إلا بعد توفر الشروط، وانتفاء الموانع التي تمنع تكفير المعين، ومن هذه الموانع وأهمها:

أ - الجهل:

إنّ من شروط الإيمان عند أهل السنة والجماعة وجود العلم والمعرفة عند الشخص المؤمن؛ لذا فمن أنكر أمراً من أمور الشرع جاهلاً به، ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله؛ فإنه لا يكفر؛ حتى لو وقع في مظهر من مظاهر الشرك أو الكفر؛ لأنه لم يكن يعلم بهذا المكفر قبل إسلامه. أو يعيش في بلد فاش فيه الجهل، أو بعيد عن ديار العلم وأهله، أو نشأ في بلد انقلبت فيه موازين الشرع وكثر فيه الانحراف، وزين فيه الباطل والكفر، ولبس عليهم. أو أنه وقع في المكفر وهو غير قاصد له، أو أن هذا المكفر من المسائل الخفية التي لا يطلع عليها إلا العلماء.

فمثل هذا الشخص لا يستحق العقوبة حتى تقام عليه الحجة؛ لأن الجهل ببعض الأمور العقديّة قد وقع في عهد النبي ﷺ مع بعض الصحابة رضي الله عنهم ومع ذلك لم يكفرهم

ﷺ.

وأهل السنة والجماعة؛ يراعون اختلاف أحوال الناس، وأماكنهم وزمانهم؛ من حيث انتشار العلم، أو عدم انتشاره، لأنهم لا يشتركون جميعاً في معرفة الأمور الضرورية على

درجة واحدة؛ بل قد يعرف البعض ما لا يعرفه الآخرون؛ أو قد يكون بعض المسائل من المسلمات عند البعض مع أن غيرهم يجهلها.

ومع هذا فلا يعني أن الجهل عندهم عذر مقبول لكل من ادعاه؛ فالجهل عندهم درجات مختلفة، فجهل ما هو معلوم من الدين بالضرورة، غير جهل ما دونه.

والجاهل العاجز عن السؤال والعلم؛ غير الجاهل المتمكن المفرط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله تعالى.

وكون الرجل يعذر بالجهل لا يعني ذلك إبقاء منزلته كما هي؛ بل تنحط منزلته، وينقص إيمانه بقدر بعده عن الحق.

ب- الخطأ:

اتفق أئمة أهل السنة والجماعة؛ على أن الخطأ من موانع التكفير في المسائل العلمية والعملية، إذا كان اجتهاداً لطلب الحق ومتابعة النبي ﷺ، وغير مقصود لمخالفة الشرع،

وقاعدتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِنْ مَّا

تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥﴾. [سورة الأحزاب: ٥]

وقول النبي ﷺ: ((إن الله تجاوز عن أمي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه)). (١)

لأن الله تعالى أمر الناس بطلب الحق على قدر وسعهم وإمكانهم؛ فإن لم يصيبوا الحق في اجتهادهم، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ج- الإكراه:

اتفق أئمة أهل السنة والجماعة على أن الإكراه على الكفر بضوابطه الشرعية يعتبر من موانع التكفير في حق المعين.

ومن ضوابط الإكراه عندهم أن يقع بسبب التهديد بالضرب والقتل والتعذيب، أو قطع

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذاب ٤٠١/١١؛ ومسلم كتاب صفات المنافقين، باب:

طلب الكافر الفداء بماء الأرض ذهباً ٢٨٠٥.

عضو من أعضائه، بالفعل لا بمجرد التهديد اللفظي، وأن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك لا محالة؛ فحينئذ يجوز له القيام بما دفع إليه بالتهديد، باعتباره في حالة ضرورية شرعية؛ فيباح عندئذ إظهار ما يخالف الدين، ولا يأثم إن نطق بالكفر أو فعل؛ لأن في هذه الحالة ينعدم في الإنسان الرضا، ويفسد الاختيار، وتنتفي الإرادة والقصد، أمّا ما دون ذلك فيدفع أعظم المفسدتين بارتكاب أدناهما؛ ففي هذه الحالة لا يكفر المسلم ما دامت الموافقة باللسان دون القلب، وقلبه مطمئن بالإيمان، وموقن بحقيقته، وذلك لظاهر قوله تعالى: ﴿مَنْ

كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ

بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾. [سورة

النحل: ١٠٦]

كما أجمعوا على أن من أكره على الكفر، فاختار القتل؛ أعظم أجراً عند الله تعالى ممن اختار الرخصة؛ وذلك لأن الصبر والأخذ بالعزيمة له منزلة رفيعة عند الله تعالى، وأولى من الأخذ بالرخص، ولو كانت مباحة، قال النبي ﷺ: ((سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ)). (١)

أما من نطق بالكفر، وقال: قصدت المزاح؛ فهو كافر ظاهراً وباطناً، إذ حكم الكفر يلزم الجاد، والهازل، والمزاح على السواء، وفي الآخرة أمرهم إلى الله تعالى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فمن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجة عامداً لها عالماً بأنها كلمة كفر؛ فإنه يكفر بذلك ظاهراً وباطناً، ولا يجوز أن يقال: إنه في الباطن يجوز أن يكون مؤمناً، ومن قال ذلك فقد مرق من الإسلام". (٢)

د- التأويل السائغ:

وهو التلبس والوقوع في الكفر متأولاً من غير قصد لذلك. اتفق أئمة أهل السنة والجماعة على أن التأويل السائغ - الذي له وجه في العلم واللغة

(١) صحيح كنوز السنة، ١/٨٩.

(٢) تنظر هذه النقولات في الجواب المفيد ١٩-٢٤.

العربية - يعتبر من موانع التكفير؛ إذا كان سببه القصور في فهم الأدلة الشرعية، أو الاستناد إلى الشبه التي تصرف عن اتباع الحق دون تعمد للمخالفة، أو المعارضة، أو التكذيب، أو الرد، أو العناد؛ بل اعتقاد العكس بأن الحق معه والتزمه بذلك.

وهذا النوع من المتأول إذا أخطأ، وكان من أهل الإيمان؛ فهو معذور حتى تقام عليه الحجة، وتزول عنه الشبهة.

وهذا النوع من التأويل مذموم؛ إذا لم يعطل بعض أحكام الشريعة المعلومة من الدين بالضرورة، ولكن يؤدي إلى المخالفة دون القصد؛ فهو من قبيل الخطأ الذي غالباً ما يكون سببه الجهل.

وإن كان مما يعطل بعض أحكام الشريعة؛ فهو أشد ذمّاً؛ لأنه من أصول الضلال والانحراف، وذريعة للغلو في الدين.

واتفق أهل السنة والجماعة أيضاً على أن هنالك تأويلات لا يعذر بها؛ كتأويلات الباطنية، والفلاسفة، وغيرهم من الغلاة؛ لأن حقيقة أمرهم هي تكذيب للدين جملة وتفصيلاً، أو التكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به، أو عدم عبادة الله وحده؛ كإنكار الفلاسفة لحشر الأجساد، وقولهم إن الله تعالى لا يعلم الجزئيات، أو القول بتحريف القرآن، أو اعتقاد النفع والضر في الأموات كما يفعله القبوريين. ونحو ذلك من الاعتقادات الغالية التي لا تعتمد على أصول شرعية.

فالتأويل عند أهل السنة والجماعة نوعان:
نوع يعذر به الإنسان، ونوع لا يعذر به.

الفصل الخامس: المذاهب والفرق المعاصرة.

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: العلمانية.

المبحث الثاني: القاديانية.

المبحث الثالث: الماسونية.

المبحث الرابع: الصهيونية.

المبحث الأول العلمانية

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: مفهوم العلمانية.
- المطلب الثاني: أسباب نشأة العلمانية.
- المطلب الثالث: أسباب انتشار العلمانية.
- المطلب الرابع: أهداف العلمانية.
- المطلب الخامس: موقف الإسلام من العلمانية.

المطلب الأول: مفهوم العلمانية:

"العلمانية" أصلها ترجمة للكلمة الإنجليزية "Secularisem"، وهي من العلم فتكون بكسر العين، أو من العالم فتكون بفتح العين، وهي ترجمة غير آمنة ولا دقيقة ولا صحيحة، لأن الترجمة الحقيقية للكلمة الإنجليزية هي "لا دينية أو لا غيبية أو الدنيوية أو لا مقدس"، لكن المسوقون لمبدأ العلمانية في بلاد الإسلام علموا أنهم لو ترجموها الترجمة الحقيقية لما قبلها الناس ولردوها ونفروا منها فدلسوها تحت كلمة العلمانية لإيهام الناس أنها من العلم، ونحن في عصر العلم، أو أنها المبدأ العالمي السائد والمتفق عليه بين الأمم والشعوب غير المنحاز لأمة أو ثقافة.

والمطلوب الصحيح لكلمة "العلمانية" هو: أنها إقامة الحياة على غير الدين سواء بالنسبة للفرد أو للدولة، وهي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا وحدها. (١)

المطلب الثاني: أسباب نشأة العلمانية:

يرجع نشوء العلمانية إلى عدة أسباب هي كالاتي :

١- تحريف الدين النصراني: لقد قام النصراني بتحريف النصرانية بعد أن رفع الله عز وجل عيسى عليه السلام ونجاه من الموت والصلب حيث حرفوا دينه وأدخلوا فيه الشرك بتأليه عيسى وادعاء بنوته لله تعالى وعبادة إله ثالث معهما ليصبح الإله ثلاثة في واحد الأب والابن وروح القدس، وقد امتد هذا التحريف ليشمل مخالقات عديدة للفترة البشرية العادية، مثل عدم رد العدوان والدفاع عن النفس تحت شعار ديني هو: (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر) وعدم إمكانية الجمع بين التدين والتمتع بالمباحات الدنيوية لذا نُسب للمسيح قوله: (من أراد الملكوت فليترك ماله وأهله وليتبعني) لذا تم تحريم زواج رجال الدين بعد أن كان ذلك مباحاً. (٢)

(١) ينظر: نادية شرف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ٢٢٧.

(٢) ينظر: النظام السياسي في الإسلام، سعود بن سلمان آل سعود، ص ١٦٥-١٦٦.

٢- طغيان الكنيسة ورجالها: لقد عاشت أوروبا في القرون الوسطى فترة قاسية، تحت طغيان رجال الكنيسة وهيمنتهم، وفساد أحوالهم، واستغلال السلطة الدينية لتحقيق أهوائهم، وإرضاء شهواتهم، تحت قناع القداسة التي يصفونها على أنفسهم، ويهيمنون بها على الأمة، ثم اضطهادهم الشنيع لكل من يخالف أوامر أو تعليمات الكنيسة المتبدعة في الدين وقد شمل هيمنة الكنيسة النواحي الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية. (١)

٣- الصراع بين الكنيسة والعلم: في الوقت الذي كانت الكنيسة فيه تغطي على جوانب الحياة كافة وقعت الحروب الصليبية بين المسلمين والأوروبيين، واستمرت طوال القرنين الحادي عشر، والثاني عشر الميلادي، واحتك الصليبيون خلالها بالمسلمين ووقفوا عن كتب على صفات الإسلام وروعته في جميع مجالات العلوم والفنون، في الأندلس والشمال الإفريقي وصقلية وغيرها، حيث كانت المدارس والجامعات المتعددة في كل مكان في بلاد المسلمين، يؤمها طلاب العلم ومنهم الأوروبيون الذين وفدوا يتعلمون من الأساتذة المسلمين، فلما عاد أولئك الأوروبيين الذين تأثروا بنور الإسلام وعرفوا أن الكنيسة ورجالها عملة مزيفة، أخذ هؤلاء يقاومون الكنيسة ودينها المزيف. وبدء الإنسان الأوروبي بتحقيق العديد من الاكتشافات والاختراعات في مجال العلوم الطبيعية والتطبيقية، وقد زاد ذلك من حدة الخلاف بين رجال الكنيسة الكارهين للعلم ومجالاته، والعلماء والباحثين المهتمين به (٢)

حينذاك تصور بعض المفكرين الأوروبيين أنه يمكن القضاء على هذا النزاع بتوزيع السلطات وتقسيمها إلى طرفين: طرف يكون للدولة بحيث تشرف على جميع المجالات الحياتية والعلمية من إدارة وتعليم واقتصاد وعلوم، وطرف يكون للكنيسة تشرف فيه على الجوانب الأسرية والدينية كمراسيم الزواج، والوفاة وغيرها من الأمور.

(١) ينظر: العلمانية، لبندر بن محمد الرياح، ص٧ وما بعدها؛ نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) المرجع السابق.

المطلب الثالث: أسباب انتشار العلمانية:

من أهم أسباب انتشار دعوة العلمانية بين أبناء المسلمين واعتناقهم لها وفصلهم بين الإسلام والحياة ما يلي:

- ١- الفراغ الروحي والفكري الذي يعاني منه المثقفون المعتنقون لمبادئ العلمانية، والمتأثرون بهم من أبناء المسلمين.
- ٢- الهزيمة النفسية أمام النموذج الغربي للحياة، حيث أساء المثقفون وأتباعهم الظن بالإسلام وأحسنوا الظن بما عليه الغربيون وانبهروا بالحياة والحضارة الغربية، وأعجبوا بالتقدم المادي الغربي.
- ٣- البعثات الدراسية إلى بلاد الغرب، التي بدأت منذ القرن التاسع عشر، وما زالت مستمرة، حيث يختار لها أناس معينين، وهم مهزومون أمام النموذج الغربي وغريبيون عن الإسلام، فيعتنقون مبادئ العلمانية ويعودون لنشرها بين المسلمين.
- ٤- استخدام وسائل الإعلام المعاصرة في الترويج للدعوة إلى العلمانية، والتي يتعامل معها معظم الناس، مثل الكتاب والصحيفة والمجلة، والفضائيات والانترنت.
- ٥- محاربة دعاة الإسلام الواقفين أمام دعاوى العلمانيين، والداعين إلى الإسلام، باعتباره نظاماً شاملاً كاملاً، لا يمكن فصله عن الحياة.

المطلب الرابع: أهداف العلمانية:

تسعى العلمانية إلى تحقيق العديد من الأهداف التي نلخصها فيما يلي:

- ١- مواجهة الدين الإسلامي، إما برفضه بالكامل واعتباره من مخلفات عصور الظلام والانحطاط والتخلف، أو بإعادة قراءته قراءة عصرية لتوظيفه توظيفاً علمانياً.
- ٢- اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي استعماري عنصري غير حضاري وتفسيره تفسيراً مادياً، وقراءته قراءة انتقائية غير نزيهة ولا موضوعية.
- ٣- السعي لزعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في فكر ووجدان المسلم، من خلال استبعاد الوحي بوصفه مصدراً للعلم، وجعله تابعاً لغيره من المصادر كالعقل والحس.
- ٤- السعي لزعزعة القيم الأخلاقية الراسخة في المجتمع الإسلامي، والمسيرة للعلاقات

- الاجتماعية القائمة على معاني الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود واستبدالها بقيم الصراع والاستغلال والنفع والتحلل والإباحية.
- ٥- استبعاد مقولة الغزو الفكري من ميادين الفكر والثقافة واستبدالها بمقولة حوار الثقافات وهذا نابع من سياسة التخدير والخداع والتضليل التي يتبعها التيار العلماني.
- ٦- وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري، لتخويف الناس من الإلتزام بالإسلام والاستماع لعلمائه.
- ٧- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية وبخاصة في الفن والرياضة والأزياء والعطورات والحفلات الرسمية وقضية المرأة.
- ٨- الترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب، وتقديم أصحابها في وسائل الإعلام وفي الكليات والجامعات على أنهم رواد العلم.

المطلب الخامس: موقف الإسلام من العلمانية:

- يمكن تلخيص موقف الإسلام من "العلمانية" ضمن المفاهيم التالية
- ١- أن التدين جزء من الطبيعة البشرية ولا يستطيع الإنسان أن يعيش من غير دين.
- ٢- حرر الإسلام الفكر من الظنون والفروض والأساطير والخرافات والأوهام والأهواء ودعا إلى التمسك بالمنابع الإسلامية الأصيلة القائمة على الوحي الكتاب والسنة.
- ٣- أن الحرية في الإسلام تعني تحرير العقل من قيود الوثنية مهما اختلفت أسماءها، ومن الجهل مهما تباينت تواريخه ومن الخرافة والتقليد.
- ٤- أن الأخلاق في الإسلام ثابتة لا تختلف باختلاف المجتمعات و الأزمان ولا تتبدل بتبدل الأجيال.
- ٥- لقد ربط الإسلام في حياة الفرد بين عقيدته التي يؤمن بها ويدين لها وبين العمل والنشاط الذي يصدر عنه وقرن بين العلم والعمل، فلا يطلب العلم ليبقى في خيز النظريات وإنما يطلبه ليطبق ويستفاد منه في تحسين وسائل الحياة الإنسانية.

المطلب السادس: سبل مواجهة العلمانية:

إنَّ العلمانية اصطلاح جاهلي، لا صلة له بالعلم، وإنما سماها أعداء الإسلام بذلك إمعاناً منهم في التضليل والخداع، وإلا فإن هدف العلمانية الرئيس هو عزل الشريعة عن جميع نواحي الحياة، وتعطيل حدود الله وشرعه. وعليه فإنَّ التصدي للعلمانية لا بد أن يكون من خلال استراتيجية شاملة ومتكاملة، تتضمن:

- ١- توعية المسلمين بخطورة هذه الفكرة الهدامة وتعارضها مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وذلك عن طريق المناهج الدراسية ووسائل الإعلام بأنواعها المختلفة، لكي يقف أبناء المسلمين على حقيقة هذه الدعوة الإلحادية، بعيداً عن المغالطات التي يستخدمها دعاة العلمانية للتلبس على أهدافها الخبيثة وإخفاء حقيقتها.
- ٢- تبصير المسلمين بثمار العلمانية وآثارها المدمرة على المجتمعات الغربية التي تعاني من الإلحاد والتفكك الاجتماعي وانتشار الأوبئة والأمراض وتفشي ظاهرة الانتحار، وتصاعد وتيرة الجرائم والتفسخ الأخلاقي، بسبب الابتعاد عن الدين، وطغيان الجانب المادي على الجانب الروحي.
- ٣- العمل على نشر الكتاب الإسلامي الذي يبصر المسلم بدينه ويربطه به ويطلععه على حكم الشريعة الإسلامية، وسموها وصلاحياتها لكل زمان ومكان، وشمولها لكل مناحي الحياة.
- ٤- العمل على غرس الاعتزاز بالدين الإسلامي بين جموع المسلمين، ومحاربة ظاهرة الانبهار بأي فكر يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي، بغض النظر عن مصدر هذا الفكر أو الجهة التي تروج له.

امبحث الثاني القاديانية

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف القاديانية.
- المطلب الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات.
- المطلب الثالث: الأفكار والمعتقدات.
- المطلب الرابع: الجذور الفكرية والعقائدية.
- المطلب الخامس: الانتشار ومواقع النفوذ.
- المطلب السادس: حكم القاديانية.

المطلب الأول: التعريف:

القاديانية حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية.

المطلب الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات:

كان مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩ — ١٩٠٨م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وقد ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام ١٨٣٩م، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وهكذا نشأ غلام أحمد وفاقاً للاستعمار مطيعاً له في كل حال، فاختر لدور المتنبئ حتى يلتف حوله المسلمون وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي. وكان للحكومة البريطانية إحسانات كثيرة عليهم، فأظهروا الولاء لها، وكان غلام أحمد معروفاً عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات.

ومن تصدى له ولدعوته الخبيثة، الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمرستري أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند، حيث ناظره وأفحم حجته، وكشف خبث طويته، وكفره، وانحراف نخلته. ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشده باهله الشيخ أبو الوفا على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى هلك المرزا غلام أحمد القادياني في عام ١٩٠٨م مخلفاً أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالاً، ومن أهم كتبه: إزالة الأوهام، إعجاز أحمددي، براهين أحمدية، أنوار الإسلام، إعجاز المسيح، التبليغ، تجليات إلهية. نور الدين: الخليفة الأول للقاديانية، وضع الإنجليزي تاج الخلافة على رأسه فتبعه المريدون. من مؤلفاته: فصل الخطاب.

محمد علي وخوجه كمال الدين: أمير القاديانية اللاهورية، وهما مُنظِّرا القاديانية وقد قدّم الأول ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية ومن مؤلفاته: حقيقة الاختلاف، النبوة في

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص ٣٤٢ ومابعدها.

الإسلام، والدين الإسلامي. أما الخوجة كمال الدين فله كتاب المثل الأعلى في الأنبياء وغيره من الكتب، وجماعة لاهور هذه تنظر إلى غلام أحمد ميرزا على أنه مجدد فحسب، ولكنهما يعتبران حركة واحدة تستوعب الأولى ما ضاقت به الثانية وبالعكس.

محمد علي: أمير القاديانية اللاهورية، وهو مُنظِّر القاديانية وجاسوس الاستعمار والقائم على الحملة الناطقة باسم القاديانية، قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية. من مؤلفاته: حقيقة الاختلاف، النبوة في الإسلام على ما تقدم.

محمد صادق: مفتي القاديانية، من مؤلفاته: خاتم النبيين.

بشير أحمد بن الغلام: من مؤلفاته سيرة المهدي، كلمة الفصل.

محمود أحمد بن الغلام وخليفته الثاني: من مؤلفاته أنوار الخلافة، تحفة الملوك، حقيقة النبوة.

كان لتعيين ظفر الله خان القادياني كأول وزير للخارجية الباكستانية أثر كبير في دعم هذه الفرقة الضالة حيث خصص لها بقعة كبيرة في إقليم بنجاب لتكون مركزاً عالمياً لهذه الطائفة وسموها ربوة استعارة من نص الآية القرآنية ﴿وَأَوْيَتْهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾. [سورة المؤمنون: ٥٠]

المطلب الثالث: الأفكار والمعتقدات:

بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. يعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويخطئ ويجامع — تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً —.

يعتقد القادياني بأن إلهه إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية !!!.

تعتقد القاديانية بأن النبوة لم تحتم بمحمد ﷺ بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً.

يعتقدون أن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد وأنه كان يوحى إليه،

وأن إلهاماته كالقرآن.

يقولون لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام)، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد.

يعتقدون أن كتابهم منزل واسمه الكتاب المين وهو غير القرآن الكريم.

يعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.

يعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة ومكة المكرمة بل وأفضل منهما وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم.

نادوا بإلغاء عقيدة الجهاد كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن !!!.

كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية: كما أن من تزوج أو زوج من غير القاديانيين فهو كافر.

بيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات.

المطلب الرابع: الجذور الفكرية والعقائدية:

كانت حركة سير سيد أحمد خان التغريبية قد مهدت لظهور القاديانية بما بثته من الأفكار المنحرفة.

استغل الإنجليز هذه الظروف فصنعوا الحركة القاديانية واختاروا لها رجلاً من أسرة عريقة في العمالة.

في عام ١٩٥٣م قامت ثورة شعبية في باكستان طالبت بإقالة ظفر الله خان وزير الخارجية حينئذ واعتبار الطائفة القاديانية أقلية غير مسلمة، وقد استشهد فيها حوالي العشرة آلاف من المسلمين ونجحوا في إقالة الوزير القادياني.

وفي شهر ربيع الأول ١٣٩٤هـ الموافق إبريل ١٩٧٤م انعقد مؤتمر كبير برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمون بمقاومة خطرها

وعدم التعامل مع القاديانيين وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.
قام مجلس الأمة في باكستان (البرلمان المركزي) بمناقشة زعيم الطائفة مرزا ناصر أحمد
والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود رحمه الله. وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين
ساعة عجز فيها ناصر أحمد عن الأجوبة وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، فأصدر
المجلس قراراً باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

المطلب الخامس: الانتشار ومواقع النفوذ:

معظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند وباكستان وقليل منهم في إسرائيل والعالم
العربي ويسعون بمساعدة الاستعمار للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون
فيه.

وللقاديانيين نشاط كبير في أفريقيا، وفي بعض الدول الغربية، ولهم في أفريقيا وحدها
ما يزيد عن خمسة آلاف مرشد وداعية متفرغين لدعوة الناس إلى القاديانية، ونشاطهم
الواسع يؤكد دعم الجهات الاستعمارية لهم.

هذا وتحتضن الحكومة الإنجليزية هذا المذهب وتسهل لأتباعه التوظيف بالدوائر
الحكومية العالمية في إدارة الشركات والمفوضيات وتتخذ منهم ضباطاً من رتب عالية في
مخابراتها السرية.

نشط القاديانيون في الدعوة إلى مذهبهم بكافة الوسائل، وخصوصاً الثقافية منها
حيث أنهم مثقفون ولديهم كثير من العلماء والمهندسين والأطباء. ويوجد في بريطانيا قناة
فضائية باسم التلفزيون الإسلامي يديرها القاديانية.

المطلب السادس: حكم القاديانية:

ويتضح مما سبق أن القاديانية دعوة ضالة، ليست من الإسلام في شيء، وعقيدتها
تخالف الإسلام في كل شيء، وينبغي تحذير المسلمين من نشاطهم، بعد أن أفنى علماء
الإسلام بكفرهم.

المبحث الثالث

الماسونية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الماسونية.

المطلب الثاني: أهداف الماسونية.

المطلب الثالث: وسائل الماسونية.

المطلب الرابع: سبل مواجهة الماسونية.

المطلب الأول: مفهوم الماسونية:

الماسونية اشتقاق لغوي من الكلمة الفرنسية (ماسون) ومعناها "البناء" والماسونية تقابلها "ماسونيريز" أي البناءون الأحرار.

والماسونية اصطلاحاً هي: منظمة يهودية سرية غامضة محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية، وأغلب أعضائها هم من الشخصيات البارزة في العالم، يوثقهم عهد بحفظ الأسرار، ويقومون بما يسمى بالمحافل للتخطيط والتكليف بالمهام.

المطلب الثاني: أهداف الماسونية:

يمكن تلخيص أهداف الماسونية فيما يلي:

١- تكوين جمهوريات ديمقراطية عالمية لا دينية، تحكم العالم ليسهل تفويضها عندما يحين موعد قيام دولة إسرائيل الكبرى.

٢- محاربة الأديان القائمة غير اليهودية، وتشجيع وحماية الدول الإلحادية، ويقصدون بالأديان هنا الإسلام والنصرانية دون بقية الأديان.

٣- بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب.

جاء في دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٠٢م ما يلي: "إن تعاليم الماسونية محاطة بالسرية الدائمة، وتنص في صميمها على تقديس الجنس، والحرية التامة في نشر الإباحية، وآمال الماسونيين في الناحية الخلقية من حياة الناس قائمة على تنظيم أمة من الناس أحرار، لا يشعرون بالخجل عندما يتعري بعضهم أمام بعض ولا يخجلون من إظهار أعضائهم التناسلية حين يجتمعون في منتديات العري، أو في شواطئ المصايف".

٤- القضاء على الأخلاق والمثل العليا؛ ليسهل تدمير المجتمعات والأنظمة والدول في العالم.

٥- جعل الماسونية سيدة الأحزاب، يقول الأستاذ الماسوني خير رضا: "من الواجب أن تكون الماسونية زعيمة الأحزاب السياسية تقودها ولا تنقاد لها، إذ الماسونية مشروع سياسي".

٦- إسقاط الحكومات الشرعية، تمهيدا وتسهيلا لإقامة دولة إسرائيل الكبرى .

٧- الوصول إلى إقامة دولة إسرائيل الكبرى، وتوزيع ملك لليهود في القدس يكون من نسل داود، ثم التحكم في العالم وتسخيرها لما يسمونه: شعب الله المختار "اليهود" وهذا هو الهدف النهائي للماسونية.

المطلب الثالث: وسائل الماسونية:

- تتبع الماسونية وسائل عديدة لتحقيق أهدافها، وهذه الوسائل هي:
- ١- تجنيد الشباب في كل العالم لخدمة مصالح اليهود، وذلك بتوفير أسباب اللهو لهم، وتمكينهم من الانغماس في الشهوات بأنواعها المختلفة.
 - ٢- الدخول في الأحزاب السياسية لتسيير الاتجاهات السياسية في العالم حسب المصالح اليهودية.
 - ٣- تأسيس وتشجيع المنظمات التي تطالب بالحرية؛ لأنها أسرع وسيلة لنشر الفساد الأخلاقي، وتقويض البناء الأسري للأمم والشعوب.
 - ٤- تشجيع النظريات والاتجاهات التي تساعد على تقويض الاقتصاد العالمي.
 - ٥- اجتذاب أكبر عدد ممكن من الأتباع للانتماء إلى المحافل والوقوع في شباكها، وعلى كل من انضم إليها أن يسخر طاقاته لخدمتها وإلا فسيكون مصيره الاغتيال، وللماسونية أساليب إجرامية للقضاء على من يحاول كشف أسرارها أو التمرد على تعاليمها.

المطلب الرابع: سبل مواجهة الماسونية:

هناك حل وقائي لمواجهة الماسونية، يتمثل في توضيح حقيقة وأهداف الماسونية لأبناء المسلمين، وخاصة من ذهب منهم للتعلم في الغرب، وإغلاق المحافل الموجودة في بلاد المسلمين، وكذلك نوادي الروتاري.

أما الحل الهجومي لمواجهة الماسونية فيكون بالكتابة عنها، وبيان حقائقها، وكشف أسرارها وفضحها على رؤوس الأشهاد، وقد أصدر المؤتمر الإسلامي العالمي الذي انعقد في مكة المكرمة سنة ١٣٩٤هـ في مكة قراراً حدد فيه موقف الإسلام من هذه الحركة الشريرة، جاء فيه: "الماسونية جمعية سرية هدامة لها صلة وثيقة بالصهيونية العالمية التي تحركها وتدفعها

لخدمة أغراضها، وتنشر تحت شعارات خداعة كالحرية، والإخاء، والمساواة، وما إلى ذلك مما أوقع في شباكه الكثير من المسلمين وقادة البلاد وأهل الكفر، وعلى الهيئات الإسلامية أن يكون موقفها من هذه الجمعية السرية على النحو التالي:

١. على كل مسلم أن يخرج منها فوراً .
٢. على الدول الإسلامية أن تمنع نشاطها داخل بلادها .
٣. عدم توظيف أي شخص ينتسب لها، ومقاطعته مقاطعة كاملة .
٤. فضحها بكتيبات ونشرات تباع بسعر التكلفة، وتعامل كل من النوادي التالية معاملة الماسونية: نادي الروتاري، نادي الليونز، حركات التسليح الخفي، إخوان الحرية.

كما أصدر مجمع الفقه الإسلامي قراراً بشأن الماسونية في دورته الأولى المنعقدة في مكة سنة ١٩٧٨م، بين فيه خطر هذه المظنة واعتبرها من أخطر المنظمات اليهودية، وأن من انتسب لها وهو على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام ومجانب له.

امطبحث الرابع الصهيونية

وفيه خمسة مطالب:

- امطلب الأول: تعريف الصهيونية.
- امطلب الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات.
- امطلب الثالث: الأفكار وامتقدرات.
- امطلب الرابع: الجذور الفكرية والعقائدية.
- امطلب الخامس: الانتشار ومواقع النفوذ.

الصهيونية: (١)

المطلب الأول: تعريف الصهيونية:

الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس حيث ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها.

وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصرة الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم.

المطلب الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات:

للصهيونية العالمية جذور تاريخية فكرية وسياسية تجعل من الواجب الوقوف عند الأدوار التالية:

وردت لفظة صهيون لأول مرة في العهد القديم عندما تعرض للملك داود الذي أسس مملكته ١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م.

حركة سبتاي زيفي ١٦٢٦ - ١٦٧٦م الذي ادعى أنه مسيح اليهود المخلص فأخذ اليهود في ظله يستعدون للعودة إلى فلسطين ولكن مخلصهم مات.

الصهيونية الحديثة وهي الحركة المنسوبة إلى تيودور هرتزل الصحفي اليهودي المجري ولد في بودابست في ٢/٥/١٨٦٠م حصل على شهادة الحقوق من جامعة فيينا ١٨٧٨م وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم بدءاً بإقامة دولة لهم في فلسطين. وقدفاوض السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص في محاولتين، لكنه أخفق، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية.

المطلب الثالث: الأفكار والمعتقدات:

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص ٤٢٨ وما بعدها.

تستمد الصهيونية فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة التي حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية فكرها في بروتوكولات حكماء صهيون.

تعتبر الصهيونية جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي الجنسية الإسرائيلية. يعتقدون أن اليهود هم العنصر الممتاز الذي يجب أن يسود وكل الشعوب الأخرى خدم لهم.

يدعون إلى تسخير الحرية السياسية من أجل السيطرة على الجماهير ويقولون: يجب أن نعرف كيف نقدم لهم الطعام الذي يوقعهم في شباكنا.

يرون أن السياسة نقيض للأخلاق ولا بد فيها من المكر والرياء أما الفضائل والصدق فهي رذائل في عرف السياسة.

يقولون: يجب أن نستخدم الرشوة والخديعة والخيانة دون تردد ما دامت تحقق مآربنا. يقولون: لا بد أن نفتعل الأزمات الاقتصادية لكي يخضع لنا الجميع بفضل الذهب الذي احتكرناه.

يقولون: يجب أن نسيطر على الصناعة والتجارة ونعود الناس على البذخ والترف والانحلال ونعمل على رفع الأجور وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها عند ذلك سيخر الأمميون ساجدين بين أيدينا.

يقولون: إن الصحافة جميعها بأيدينا إلا صحفاً قليلة غير محتفل بها، وسنستعملها لبث الشائعات حتى تصبح حقائق وسنشغل بها الأميين عما ينفعهم ونجعلهم يجرون وراء الشهوة والمتعة.

يقولون: سنفكك الأسرة وننفخ روح الذاتية في كل فرد ليتمرد ونحول دون وصول ذوي الامتياز إلى الرتب العالية.

يقولون: سنستعين بالانقلابات والثورات كلما رأينا فائدة لذلك.

يقولون: لا بد أن نشغل غيرنا بألوان خلابة من الملاهي والألعاب والمنتديات العامة والفنون والجنس والمخدرات لنلهيهم عن مخالفتنا أو التعرض لمخططاتنا.

يقولون: عندما تصبح السلطة في أيدينا لن نسمح بوجود دين غير ديننا على الأرض.

المطلب الرابع: الجذور الفكرية والعقائدية:

الصهيونية قديمة قدم التوراة نفسها وهي التي أوجت الروح القومية عند اليهود منذ أيامها الأولى. وحركة هرتزل إنما هي تجديد وتنظيم للصهيونية العديمة. تقوم الصهيونية على تعاليم التوراة المحرفة والتلمود. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن عدداً من زعماء الصهيونية هم من الملاحدة، واليهودية عندهم ليست سوى ستار لتحقيق المطامع السياسية والاقتصادية.

تعتبر أكثرية من اليهود ما يعرف بالتلمود دستوراً دينياً لهم وهو مؤلف من بحوث أبحار اليهود وفقهائهم وقد رسموا فيه الحدود لكل جوانب الحياة الخاصة والعامة وقد دون فيه من الأحكام والتعليمات ما يبرر وضعهم الاجتماعي والسياسي وما يغرس في نفوسهم ونفوس أجيالهم اللاحقة احتقار المجتمع البشري وحب الانتقام منه وأكل أموال الناس بالباطل والسطو على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم واستنزاف دماء غير اليهود لاستعمالها في بعض المناسبات الدينية حيث يستعمل الدم البشري بوضع نقط منه على فطير الفصح أو غيره.

المطلب الخامس: الانتشار ومواقع النفوذ:

الصهيونية هي الواجهة السياسية لليهودية العالمية وهي كما وصفها اليهود أنفسهم (مثل الإله الهندي فشنو الذي له مائة يد) فهي لها في جل الأجهزة الحكومية في العالم يد مهيمنة موجهة تعمل لمصلحتها.

هي التي تقود إسرائيل وتخطط لها.

الماسونية تتحرك بتعاليم الصهيونية وتوجيهاتها وتخضع لها زعماء العالم ومفكره. للصهيونية مئات الجمعيات في أوروبا وأمريكا في مختلف المجالات التي تبدو متناقضة في الظاهر لكنها كلها في الواقع تعمل لمصلحة اليهودية العالمية. هناك من يبالغ في قوتها مبالغة كبيرة جداً، وهناك من يهون من شأنها، والرأيان فيهما خطأ، على أن استقرار الواقع يدل على أن اليهود الآن يهيون فترة علو استثنائية.

ثبت المراجع

م	اسم المرجع
١	الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد - لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان
٢	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل تأليف المحدث ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣	أضواء على الثقافة الإسلامية - نادبة العمري.
٤	الاعتصام - للإمام الشاطبي.
٥	إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت - .
٦	تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن أبي حاتم تحقيق أسعد بن محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٧	تهذيب الأسماء واللغات للنووي - دار الكتب العلمية - بيروت.
٨	التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تصنيف سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملتن - الطبعة الأولى - دار النوادر - ١٤٢٩هـ.
٩	الثقافة الإسلامية عز الدين التميمي وجماعة ص ٥١، دار الفرقان بالأردن، ط السادسة ١٤٢٤-٢٠٠٤.
١٠	جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١١	الجامع الصحيح - للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.
١٢	الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٣	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني - دراسة وتحقيق عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.
١٤	زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الرابعة عشر - ١٤٠٧هـ.
١٥	ست درر من أصول أهل الأثر - عبد المالك الرمضاني.
١٦	سلسلة الأحاديث الصحيحة للإمام محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
١٧	شرح قصيدة النونية.
١٨	الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم - شيخ الإسلام ابن تيمية.
١٩	صحيح سنن أبي داود باختصار السند تأليف المحدث محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٠	صحيح سنن الترمذي باختصار السند تأليف المحدث محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربي

	لدول الخليج - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢١	صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري مع شرح النووي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٢٢	الصواعد المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة - للإمام ابن القيم الجوزية.
٢٣	ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة - عبد الله محمد القرني.
٢٤	طريق المهجرتين - للإمام ابن القيم الجوزية.
٢٥	عالم السحر والشعوذة - لعمر سليمان الأشقر.
٢٦	عقيدة التوحيد في القرآن الكريم - محمد أحمد ملكاوي.
٢٧	العقيدة الصفدية - شيخ الإسلام ابن تيمية
٢٨	عقيدة المؤمن لأبي بكر جابر الجزائري.
٢٩	العلمانية - بندر بن محمد الرباح.
٣٠	فتاوى مهمة لعموم الأمة.
٣١	فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني رقمه محمد فؤاد عبد الباقي - دار الريان للتراث - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
٣٢	الفصل في الملل - لابن حزم الظاهري.
٣٣	القول المفيد على كتاب التوحيد - لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
٣٤	لسان العرب لابن منظور - دار صادر - بيروت - الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.
٣٥	مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة - ناصر عبد الكريم العقل.
٣٦	المبدع - لابن مفلح
٣٧	مجموع الفتاوى - شيخ الإسلام ابن تيمية.
٣٨	الحلى بالآثار لأبي محمد علي بن أحمد الشهير بابن حزم - تحقيق أحمد محمد شاكر - دار التراث - القاهرة.
٣٩	مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي - مؤسسة علوم القرآن - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٤٠	مدارج السالكين - لابن القيم الجوزية.
٤١	مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية - عثمان جمعة ضميرية.
٤٢	المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية - للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان.
٤٣	المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية ص ٣١٢.
٤٤	المسجد وبيت المسلم، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري - دار لينة للنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.
٤٥	مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه المصعد الأحمدي والقول المسدد وذيل القول المسدد

راجعه وضبطه وعلق عليه وصنع فهرسه صدقي محمد جميل العطار - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.	
منهاج السنة النبوية - شيخ الإسلام ابن تيمية.	٤٦
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.	٤٧
نبذة في العقيدة - فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.	٤٨
النظام السياسي في الإسلام - سعود بن سلمان آل سعود.	٤٩
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار - للإمام الشوكاني.	٥٠

▼

فهرس

.....	مقدمة
.....	خطة البحث
.....	الفصل الأول: مبادئ العقيدة الإسلامية وخصائصها
١	المبحث الأول: مبادئ العقيدة الإسلامية
٢	تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً
٣	العقيدة بالمفهوم العام
٣	العقيدة بالمفهوم الخاص
٣	تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً
٤	موضوع العقيدة
٤	ثمة علم العقيدة
٤	فضل علم العقيدة
٤	نسبة علم العقيدة إلى بقية العلوم
٥	واضع علم العقيدة
٥	اسم علم العقيدة
٧	اصطلاحات أهل الفرق التي يطلقونها على علم العقيدة
٧	استمداد علم العقيدة
٨	حكم الشارع في علم العقيدة
٨	مسائل علم العقيدة
٩	المبحث الثاني: أهمية دراسة العقيدة وخصائصها
١٠	المطلب الأول: أهمية دراسة العقيدة السلفية
١٧	المطلب الثاني: وجوب التزام العقيدة الصحيحة
٢٠	المطلب الثالث: خصائص العقيدة الإسلامية

المطلب الرابع: قواعد العقيدة الأساسية	٢٦
أولاً: القواعد العامة	٢٦
ثانياً: القواعد التفصيلية	٣٠
ثالثاً: عقيدة السلف في بقية الأصول والأحكام الاعتقادية	٣٣
الفصل الثاني: منهج القرآن العظيم في الدعوة إلى العقيدة	٣٧
المبحث الأول: منهج القرآن العظيم في تقرير التوحيد	٣٨
المطلب الأول: منهج القرآن في تقرير التوحيد على وجه الإجمال	٣٩
المطلب الثاني: منهج القرآن في تقرير التوحيد على وجه التفصيل	٤٠
المبحث الثاني: منهج الاستدلال على العقيدة عند السلف	٤٧
المطلب الأول: تعريف منهج الاستدلال	٤٨
المطلب الثاني: تعريف السلف	٤٨
المطلب الثالث: تحديد زمن السلف	٥٠
المطلب الرابع: منهج الاستدلال عند السلف	٥١
المبحث الثالث: منهج الاستدلال عند أهل البدع	٥٢
المبحث الرابع: قواعد السلف في الرد على أهل البدع	٥٥
المطلب الأول: تعريف البدع	٥٦
المطلب الثاني: أقسام البدع	٥٦
المطلب الثالث: النهي عن البدع في الدين وذم المبتدعين	٥٧
المبحث الخامس: دور علماء السلف في التصدي للبدع	٦١
الفصل الثالث: أركان الإيمان	٦٧
المبحث الأول: الإيمان بالله تبارك وتعالى	٦٨
المطلب الأول: الإيمان بوجود الله تعالى	٧٠
المطلب الثاني: الإيمان بربوبية الله تعالى	٧٣
المطلب الثالث: الإيمان بألوهية الله تعالى وتفرد بالعبادة	٧٤
المطلب الرابع: الإيمان بإسمائه وصفاته	٧٧

- المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالله تعالى ٧٩
- المبحث الثاني: الإيمان بالملائكة ٨٤
- المطلب الأول: الإيمان بوجود الملائكة ٨٥
- المطلب الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه ٨٥
- المطلب الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم ٨٥
- المطلب الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم ٨٦
- المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالملائكة ٨٧
- المبحث الثالث: الإيمان بالكتب ٨٨
- المطلب الأول: الإيمان بأن نزول الكتب من عند الله ٨٩
- المطلب الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منته باسمه ٨٩
- المطلب الثالث: تصديق ما صح من أخبارها ٨٩
- المطلب الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها ٨٩
- المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالكتب ٨٩
- المبحث الرابع: الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام ٩٠
- المطلب الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله تعالى ٩٢
- المطلب الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منته باسمه ٩٣
- المطلب الثالث: تصديق ما صح من أخبارها ٩٣
- المطلب الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها ٩٣
- المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام ٩٣
- المبحث الخامس: الإيمان باليوم الآخر ٩٥
- المطلب الأول: الإيمان بالبعث ٩٦
- المطلب الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء ٩٧
- المطلب الثالث: الإيمان بالجنة والنار وأنهما المال الأبدي للخلق ٩٨
- المطلب الرابع: ثمرات الإيمان باليوم الآخر ٩٩
- المبحث السادس: الإيمان بالقدر ١٠٠

- المطلب الأول: الإيمان بأن الله تعالى عالمٌ بكل شيء جملةً وتفصيلاً ١٠٧
- المطلب الثاني: الإيمان بأن الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ ١٠٧
- المطلب الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى ١٠٧
- المطلب الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاتها ١٠٨
- المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالقدر ١١٠
- الفصل الرابع: نواقض الإيمان وضوابط التكفير ١١٣**
- المبحث الأول: نواقض الإيمان ١١٤
- المطلب الأول: تعريف الناقض لغةً واصطلاحاً ١١٥
- المطلب الثاني: نواقض الإيمان ١١٦
- المبحث الثاني: ضوابط التكفير ١٢٦
- المطلب الأول: خطورة التكفير ١٢٧
- المطلب الثاني: لماذا نعرف ضوابط التكفير ١٢٧
- المطلب الثالث: ما يترتب على التكفير من أحكام ١٢٨
- المطلب الرابع: ضوابط التكفير ١٢٩
- الفصل الخامس: المذاهب والفرق المعاصرة ١٣٦**
- المبحث الأول: العلمانية ١٣٧
- المطلب الأول: مفهوم العلمانية ١٣٨
- المطلب الثاني: أسباب نشأة العلمانية ١٣٨
- المطلب الثالث: أسباب انتشار العلمانية ١٤٠
- المطلب الرابع: أهداف العلمانية ١٤٠
- المطلب الخامس: موقف الإسلام من العلمانية ١٤١
- المبحث الثاني: القاديانية ١٤٣
- المطلب الأول: تعريف القاديانية ١٤٣
- المطلب الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات ١٤٤
- المطلب الثالث: الأفكار والمعتقدات ١٤٥

المطلب الرابع: الجذور الفكرية والعقائدية	١٤٦
المطلب الخامس: الانتشار ومواقع النفوذ	١٤٧
المطلب السادس: حكم القاديانية	١٤٧
المبحث الثالث: الماسونية	١٤٨
المطلب الأول: تعريف الماسونية	١٤٩
المطلب الثاني: أهداف الماسونية	١٤٩
المطلب الثالث: وسائل الماسونية	١٥٠
المطلب الرابع: سبل مواجهة الماسونية	١٥٠
المبحث الرابع: الصهيونية	١٥٢
المطلب الأول: تعريف الصهيونية	١٥٢
المطلب الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات	١٥٣
المطلب الثالث: الأفكار والمعتقدات	١٥٣
المطلب الرابع: الجذور الفكرية والعقائدية	١٥٤
المطلب الخامس: الانتشار ومواقع النفوذ	١٥٥
ثبت المراجع	١٥٦
الفهرس	١٥٩